الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبية

وزارة التّعليم العالي و البحث العلميّ

جامعـــة محمّد خيضــر بسكرة

كلّيـــة الآداب واللّغـــات

قسم الآداب واللّغة العربيّة

سيميـــاء المـــــوت

في المجموعة الشّعريّة "فراشة بيضاء لربيع أسود"لـ "عزّ الدّين ميهوبي"

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللّغة العربيّة

تخصّـص: نقـد أدبـــي

إعـــداد الطّالبـــة:

زريقـــي سهـــام

إشـــراف الأستـــاذ:

رضـــا معـــرف

أعضاء اللّجنة	الرّتبة العلميّة	الصّفة
عبد الحميد جودي	أستاذ	رئيسا
رضا معرف	أستاذ	مشرفا و مقرّرا
سميحة كلفالي	أستاذة	مناقشا

السّنـة الجامعيـة: 1438/1437 هـ-2017/2016 م

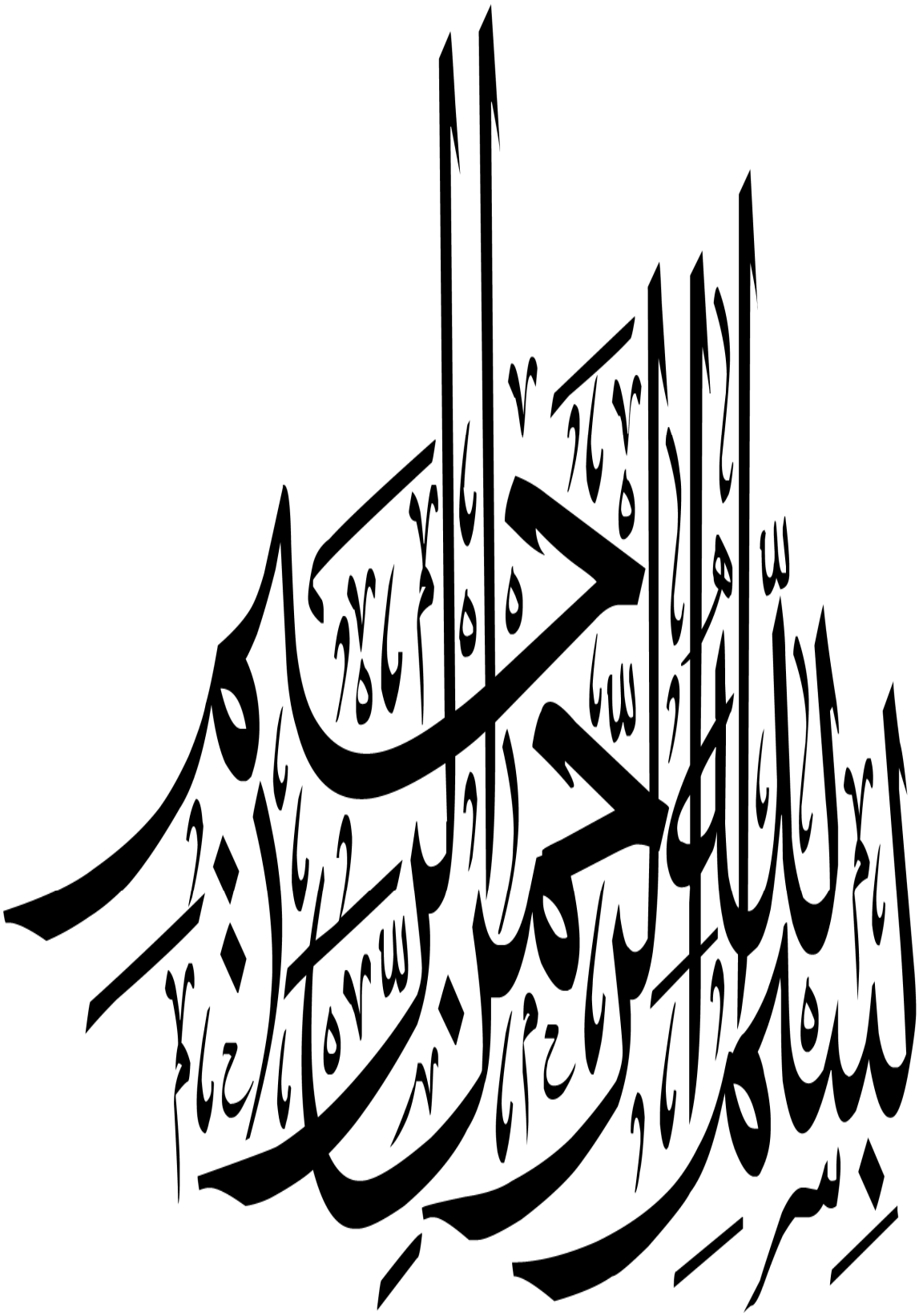
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــــــــر و تقديـــــــــر

بسم الله و الحمد لله و الصّلاة و السّلام على رسول الله ومن تبعه ومن ولاه.

بعد شكرنا لله عزّوجل على انجاز هذا البحث.

أوجّه إلى أستاذي الكريم "رضا معرف"كلّ الشّكر و الاحترام و العرفان بما قدّمه لي و لغيري من طلبة اللّغة العربية و آدابها، و أخصّ بالذّكر مجموعة تخصص"نقد أدبي"،فرسم معالم الانسان المتواضع الذّي كسب احترام طلبته له، وقد كان لي الشّرف أن حظيت باشرافك على بحثي فلك منّي كلّ الشّكر و التّقدير .

كما أتقدّم بجزيل الشّكر و خالص العرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة ، و إلى كلّ أساتذتي الذّين درّسوني و أسهموا في تكويني طيلة مشواري الدّراسيّ .

و لا يفوتني التّنويه بالمجهودات القيّمة التّي تبذلها ادارة القسم بكلّ أعضائها في سبيل تكويننا و توجيهنا.

كما أشكر كلّ من قدّم يد العون في انجاز هذا البحث .

فجزاكم الله جميعا خير الجزاء

"الموت لا يوجع..الموتى

الموت يوجع ..الأحياء!".

"في حضرة الغياب "لـ"محمود درويش"

مقدّمة

يرزح العالم العربيّ في سنينه الأخيرة تحت وطأة واقع كئيبٍ مؤلم، رسّخت قتامة صورته، و كلاكل همّه مستجدّات الواقع الاجتماعيّ البائس، وانسداد الأفق السياسيّ المتغوّل، بعد أن تهافتت على أفئدة بَنيهِ نسائم الحرّية، ومطامح المساواة، والعدالة الإنسانيّة، بوصفها أبسط مبادئ العقد الاجتماعيّ الّذي يُفترض أن يربط الحاكم برعيّته.

وفي ظلّ اقتناع الشّباب بشرعيّة مطالبهم، وأحقّيتهم في العيش الكريم، خرجت جموع الغاضبين بهتافاتها إلى ميادين الحرّية، مطالبين رؤوسائهم بتحريرهم من أغلال الاستبداد، وطمس الحقوق، وخنق الأحلام.

فزأرت الميادين بملايين الغاضبين، الّذين خرجوا متحدّين إرهاب السّلطة، وآلة الإعلام، وانبطاح المترقّبين، بصدورٍ عارية، غير آبهين برشّاشات الدّبابات، وألوان التّنكيل والقمع، بإيمان فراشة بهيّة بحياةٍ زاهية يحملها الرّبيع، رغم ضراوة الصّقيع.

فدفعت جموع الثّائرين أثمانا باهظة، بعضها كان حيواتٍ سُرقت في زهرة الشّباب، وأخرى فقدًا مرًّا، وسجنًا، وحرمانًا وذلاّ فِدى للتّغيير، وإيمانا بغدٍ جديد تُبعثُ فيه الآمال، وتستقيم به الأحوال.

وأمام هذا الكمّ من النّبلِ في البذل، راحت دفاتر الأدباء وحناجرهم تُؤرّخ بحروف الأدب الخالدة لحقبةٍ جديدةٍ من الإبداع أبطالها المرابطون في السّاحات، والسّاخرون من الدّبابات، فصوّروا مآثر الثّبات، وفواجع الفقد حينما يخطف الموت أبا، أو أخا، أو حبيبا بأيدٍ الغدر الظّالمة.

ولما كان هذا الأخير (الفقد) أمرّها وجعا، وأجسمها ألما، وأنكاها أثرا عُني به الشّعراء عناية خاصّة، بوصفه هاجسًا مخيفا، تتشظّى لوقعه الذّوات، وتنحبس الأنفاس والكلمات، فسالت أقلامهم ألما، وشجى، وقلقًا، فنحى بعضهم نحو التّشاؤم من مستقبلٍ قادم مخيف تُصَادَرُ فيه الحرّيات، ويُسجن فيه الأحرار، ومن لا يسير مع الرّكب والتّيار، و قد يتطرّف بعضهم غضبا، فيُحَمِّل العالمينَ جرائم كلّ من مات، في حين رأى آخرون أنّ اشتداد هذا الظّلام آذانٌ بانبلاج الفجر، وانحلال العسر.

ولعلّ من نافلة القول التّنبيه إلى أنّ " سيمياء الموت" موضوع مطروق، وقد تصدّى لدراسته ثلةٌ من خيرة الدّارسين، ك صابر عبيد في مؤلفه "سيمياء الموت؛ تأويل الرّؤيا الشّعرية، و غيرها من المؤلّفات،الاّ ان المدونة الشعرية الجزائرية لم يسبق التّطرّق لها .

أمّا عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع: فإنّما تعود بالدّرجة الأولى لكون الموت يعدّ هاجسًا إنسانيًّا يصاحب المرء منذ اتّساع مداركه، ووعيه بمآلات الأمور؛ إنّه النّهاية الّتي لا نهاية غيرها، الّتي شغلت فكر النّساك والعُبّاد، والفلاسفة، والنّقاد، ناهيك عن كونه صار يمثّل جزءا لا يتجزّأ من يوميّات المواطن العربيّ، حتّى أضحى خبز غذائه، وماء حياته.

كما أنّ وفرة المراجع المتخصّصة في الموضوع كانت دافعا رئيسا من دوافع اختيارنا لهذا الحقل البحثيّ الثريّ.

فكانت المجموعة الشّعريّة مطيّةً اتّخذناها لنجيب عن تساؤلات لم تزل تبعث القلق في دواخلنا من قبيل: ما الموت؟ وما دلالاته؟ وكيف تجلّى في المجموعة الشّعريّة"فراشة بيضاء لربيع أسود"؟، و إذا كان الموت حقيقة حتميّة في الوجود فما الذّي يمثّله هذا الأخير لـ"عزّ الدّين ميهوبي"كموجود؟ و هل ذِكر الموت قاموسه يُلغي قاموس الحياة ؟أم أنّهما خطّان متوازيان يعطيان للحياة توازنها وواقعيتها؟.

و للإجابة على هذه التّساؤلات تبنّينا خطّة حاولنا من خلالها معالجة هذا الموضوع مفتتحين إيّاها بمقدّمة؛ فمدخل تمهيديّ، يليهما فصلان، وخاتمة.

فكان المدخل مخصّصا لِ "السّيمياء بين الغرب و العرب" حيثُ تطرّقنا فيه إلى السيّمياء مفهوما، ومنهجا، ثمّ عرجنا على جذورها التّاريخية في الفكرين: الغربي و العربي.

وأمّا الفصل الأوّل:فوسمناه بـ"عتبة الموت في المجموعة الشّعريّة"فراشة بيضاء لربيع أسود" استقرأنا فيه سميائيّة العتبات: العنوان، و الغلاف، و اللّون.

ليكون الفصل الثّاني معقودًا لدراسة تمظهرات الموت في النّص الشّعري و انزياحاته لدى "عزّ الدّين ميهوبي"في مدوّنة الدّراسة، إذ تطرّقنا فيه لتيمة الموت بين الدّين و الفكر، لنرحل إلى الحقول

الدّلاليّة في المتن الشّعري موضوع الدّراسة، محاولين تقديم دراسة تأويليّة لدلالات الفناء والعفاء في الدّيوان.

لتكون خاتمة بحثنا راصدةً لأهمّ النّتائج المتوصّل إليها.

وأمام هذا التعدّد الدّلالي، وانفتاح قصيدة "الموت" على معانٍ شتّى احتاج القارئ إلى منهجٍ سديد يمكّنه من مقاربة الدّلالات، واستجلاء مغازيها.

فوقع اختيارنا على المنهج السّيميائي بوصفه أداةً مثلى للغوص في دلالات الموت والفناء ورمزيتهما في الشّعر العربي المعاصر، بوصف الموت حقيقة حتميّة، ومنتهى لكلّ حيّ بغضّ النّظر عن الظّروف المصاحبة لهذه النّهاية.

فحاولنا من خلال عملنا المتواضع هذا تقديم مقاربة نقديّة سيميائيّة لتجلّيات الموت وتمظهراته في المجموعة الشّعريّة "فراشة بيضاء لربيع أسود"لـ"عزّ الدين ميهوبي"، وذلك بالاعتماد على ما يتيحه لنا هذا المنهج الرّصين من آلياتٍ إجرائيّة تساهم في فكّ مغاليق خطاب الموت لتقديم قراءة فاحصة و متأنّية للمجموعة.

معتمدين في رسم ملامح هذا العمل على مجموعة من المصادر و المراجع منها: ميشال أريفيه وآخرون :السّيميائية أصولها وقواعدها، ومُؤلّف: فاتن عبد الجبّار جواد: اللّون لعبة سيميائيّة، وكذا كتاب: جاك شورون: الموت في الفكر الغربيّ، وكذا عبد الرّحمن الزّيني بمؤلّفه: حقيقة الموت بين الفلسفة و الدّين.

ونحن بذلك لا نزعم إحاطةً ولا كمالا، وإنّما غاية آمالنا مقاربة، واستشرافٌ، واقتباس لأنوار الصّواب، فإن أدركناه فللّهِ المنّة والحمد، وإن حِدنا عنه فمن أنفسنا ومن الشّيطان.

ولا يفوتنا في هذا المقام التّقدّم بأسمى معاني الشّكر والعرفان للأستاذ المشرف الكريم لسبق فضله على الموضوع متابعةً، وتوجيها، وتنويرا، ولكلّ من اغترفنا من قبسات علمه، وسقينا من موارد حلمه في هذا القسم المجيد فجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

سائلين المولى الجليل أن يتقبّل هذا العمل بقبول حسن.

وما توفيقنا إلاّ بالله.

مدخل : السّيمياء بين الغرب و العرب

ماهية السّيـــــــــــــــميـاء

1 السّيمياء عند الغرب

2 السّيمياء عند العرب

2-1 السّيمياء لغة

2-2 السّمياء اصطلاحا

شهدت السّيميائية تطوّرا ملحوظا في العصر الحديث، فاهتمّ بها النقّاد الغربيون اهتماما كبيرا، فألّفوا فيها العديد من الكتب ،فكانت بحوثهم امتدادا لما قدّمه أسلافهم اللّغويين من أمثال "فرديناند دي سوسير".

في حين اتّخذ العرب المحدثين الغرب متّكأ لهم و قاعدة أساسيّة في أبحاثهم فحاولوا تطبيقها و اسقاطها على المدوّنة العربيّة الشّعريّة و النّثرية على حدّ سواء.

من هنا تولّد إيمان مطلق أنّ للسّيمياء دورا في أدبيّات الشّاعر و مختاراته .

1- ماهيّة السّيمياء

كيف كانت نشأة السّيمياء ؟ و هل عرف العرب السّيمياء ؟ و كيف وصلت إليهم ؟.

1-1 السّيمياء عند الغرب

"السّيميائيات" علم حديث النّشأة لم يظهر للوجود إلاّ بعد أن أرسى "فرديناند دي سوسيرFerdinand de Saussure" 1857-1913 أصول اللّسانيات الحديثة ،و لو تتبّعنا نشأة السّيميائيات نجدها متناثرة في التّراثين الغربيّ و العربيّ على حدّ سواء .

يرجع الأصل اللّغوي للمصطلح إلى العصر اليوناني، و هو مقسّم قسمين "سيميو"و تعني علامة و "لوجيا" و تعني علم، فالسّيميولوجيا إذن علم العلامات ،علم الإشارات[1] .

و لو تتبّعنا نشأة السّيميائيات ، فإنّها تعود إلى ألفي سنة على حسب قول "أمبيتوambitou" مؤلّف رواية اسم الوردة و بالتّحديد إلى الرّواقيين *أوّل من قال بالعلامة دالّةsignifie، و مدلولا signifiant ، وقد أطلق"فرديناند دي سوسير" على العلم تسمية

[1] ميشال أريفيه وآخرون :السيميائية أصولها وقواعدها ، تر رشيد بن مالك، تح عزّ الدّين المناصرة، منشورات الاختلاف ،الجزائر 2002م،ص21.

* الرواقيون في الأصل عمال أجانب في أثينا وهم دخلاء عليها، وأصلهم الحقيقي يعود إلى الكنعانيين الفينيقيين القادمين من أرض كنعان "من تخوم صيدا"إلى غزة فالبحر الميت"إلى شمال إفريقيا ليبيا ، تونس ، الجزائر، المغرب.

"السّيميولوجيا"، و اقترح في كتابه "دروس علم اللّغة العام :علم العلامة ، في حين أطلق الفيلسوف تشارلز "ساندرس بيرس*Charles Sanders Peirce* "1838-1914متسمية "السّيميوطيقا".[1]

و السّيميائية حالها حال المصطلحات الغربية التي انتقلت إلى العربية و عانت من فوضى و تعدّديّة المصطلح إذ نجد : sémiologies, sémiotique , simiotics [السّيمياء، علم الإشارات ، علم العلامات ، السّيمية، السّيميائية ،السّيميوطيقا ، السّيميولوجيا، الرّمزية].[2]

واللّغة من منظور "فرديناند دي سوسير": "نظام من العلامات التّي تعبر عن الأفكار ، و يمكن تشبيه هذا النّظام بنظام الكتابة ،أو الألف باء المستخدمة عند فاقدي السّمع و النطق ، أو الطّقوس الرّمزية أو الصّيغ المهذّبة أو العلامات العسكريّة ، أو غيرها من الأنظمة و لكنّه أهمّها جميعا"[3].

و يضيف "فرديناند دي سوسير"يمكننا أن نتصوّر علما موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النّفس الاجتماعي ، و هو بدوره جزء من علم النّفس العام و سأطلق عليه علم العلامات"[4].

فهو بذلك علم يستمدّ أصوله المعرفيّة من التّحليل النّفسيّ، المنطق ،الأنتروبولوجيا، الفلسفة ...الخ، إذ تتّضح من خلال هذا رؤية "فرديناند دي سوسير" الذّي يجعل من العلم قاصرا على العلامات في دلالتها الاجتماعية ؛الوظيفة الاجتماعيّة التّي تقوم بها العلامات .

و إلى جانب "فرديناند دي سوسير"فانّ نظرية "بيرس" السّيميوطيقية أوسع من الأولى "السّيميولوجيا "حيث جعل فاعليتها خارج علم اللّغة ،فأعطاها بعدا أعمّ و أشمل بوصفها كيانا

[1] ينظر: عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي،عواد علي:معرفة الآخر،مدخل الى المناهج النقدية الحديثة،المركز الثقافي العربي ، ط1996،2م، ص73.

[2] ينظر: فيصل الأحمر :معجم السّيميائيات ،منشورات الاختلاف، ط1، 2010م،ص14.

[3] فرديناد دي سوسير : علم اللّغة العام ،تر يوئيل يوسف عزيز ،مرا مالك يوسف المطلبي ،دار آفاق عربية ،بغداد،1985م، ص 34.

[4] المرجع نفسه،ص 36.

ثلاثيّا يتكوّن من المصوّرة [ما يقابل الدّال عند "فرديناند دي سوسير"]، المفسرة [المدلول عند "فرديناند دي سوسير"]، و الموضوع [لا وجود له في النظرية السّوسيرية][1].

و بهذا فانّ "بيرس" يرى في العلم الوظيفة المنطقيّة .

و بين المصطلحين "سيميولوجيا"و"سيميوطيقا "ترادفا، إلاّ أنّ بينهما اختلافا طفيفا، فالأولى "السّيميولوجيا" لا تتجاوز النّطاق المعرفيّ للعلوم الإنسانيّة، كما اعتبر "فرديناند دي سوسير"اللّغة أصلا و "السّيميولوجيا" فرعا، كما أنّ المصطلح اختص الأوروبيون باستعماله، و "السّيميوطيقا" تعبّر عن كلّ ماله ارتباط بنظريّة العلامات العامّة، في حين فضّل الأمريكيون استعمال المصطلح[2].

و خلاصة القول: "السّيميائية" عند الغرب : هي العلم الذّي يدرس العلامات و موضوعها :دراسة الأنظمة الشّفويّة وغير الشّفويّة ومن ضمنها اللّغات ، فالموضوع الأساسيّ لها هو العلامة أمّا دورها فهو بناء نظريّة عامّة عن أنظمة الإبلاغ .

و قد ارتكزت "السّيميائية" عند الغرب على اتّجاهات ثلاث هي :التّواصل، الثّقافة، الدّلالة .

1-2 السّيمياء عند العرب

نعثر على السّيمياء في ثنايا كتب العرب في شكل إرهاصات أوّليّة للعلم، فلم تعرف عندهم على أنّها نظريّة، و ما عرفوا قواعدها، لكن إذا ما بحثنا و نقّبنا في تراثنا العربيّ وجدنا إشارات لها في علوم متنوّعة كعلم النّحو، علم البلاغة ، علم التّفسير ، علم التّصوف، و غيرها ...

[1] ينظر: عبد الله ابراهيم و آخرون:معرفة الآخر، ص 77.

[2] ينظر : مُحَمَّد السّرغيني: محاضرات في السّيميولوجيا ،دار الثّقافة للنّشر و التّوزيع، الدّار البيضاء ،ط1، 1987م .

2-1 السّيمياء لغة

وردت لفظة سيمياء دون ياء في القرآن الكريم في عدّة مواضع نحو قوله تعالى ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾[1] و﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عظِيمًا﴾[2]

و "السّيمياء"من خلال الآيات المذكورة تعني "علامة".

كما ورد في معجم "لسان العرب "لـ"ابن منظور":"السّيمياء العلامة: مشتقّة من من الفعل "سام"الذّي هو مقلوب "وسم"يدلّ على ذلك قولهم:سمة، فانّ أصلها "وسمى"و يقولون"سوم "إذا جعل "سمة"[...]قولهم:سوم فرسه؛ أي جعل عليه السّمة، و قيل الخيل المسومة، هي التّي عليها السيمة، و السّومة و هي العلامة"[13].

من خلال الآيات المذكورة و المفهوم المعجمي نجد هناك تقاربا بين الدّلالة التّي حملتها هذه اللّفظة في القرآن و وما ذكره "ابن منظور"و هي العلامة.

2-2 السّيمياء اصطلاحا

[1] سورةالرحمن: الآية 41.

[2] سورة الفتح : الآية29.

[3] جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور :لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1،1997م ، ج3،ص 372.

يزخر التّراث العربيّ القديم بأفكار مهمّة في العديد من المجالات،[البلاغة، الفلسفة ، النّحو...] و إن لم ترقى إلى ما يسمّى بالنّظرية إلاّ أنّه لا يمكن إغفال جهودهم الحثيثة في الإرهاص لكلّ صغيرة و كبيرة من بينها السّيمياء.

مفهوم السّيمياء كما هو معروف اليوم لا يكاد يكون إلاّ إشارات من بعض البلاغيين و الفلاسفة العرب إذ يورد "ابن سينا" في مخطوطة له بعنوان:"كتاب الدرّ النظيم في أحوال العلوم و التّعليم " و في فصل تحت عنوان "علم السّيميا"يقول :"علم السّيميا يقصد فيه كيفية تزيج القوى التّي في جواهر العالم الأرضيّ ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب "[1].

في حين أنّ "ابن خلدون"خصّص فصلا من مقدّمته لعلم أسرار الحروف فيقول :"المعروف بالسّيميا نقل وضعه من الطّلسمات إليه في اصطلاح أهل التّصرف من غلاة المتصوّفة في جنوحهم إلى كشف حجاب الحسّ وظهور الخوارق على أيديهم"[2].

و حديث ابن خلدون" منصبّ على الجانب الغيبيّ و السّحري لعلم السّيميا ، وبهذا المعنى فان "السّيميا"كما وجدت عند العرب بعيدة كل البعد عن المعنى الحالي .

"لعلّ أهم ما يمكن أن نعثر عليه من أفكار سيميائيّة عند صاحب نظريّة النّظم ؛"الجرجاني" و الذّي تجاوز بها مقولة اللّفظ و المعنى حديثه عن اعتباطيّة العلامة اللّغوية فألفاظ اللّغة عنده ليست إلاّ مجرّد علامات و سمات دالّة على المعاني فيمكننا أن نستبدل علامة بعلامة للدّلالة على نفس المعنى"[3] .

[1] فيصل الأحمر :معجم السّيميائيات ،ص 31

[2] ميشال أريفيه وآخرون :السّيميائية أصولها وقواعدها ، تر رشيد بن مالك، تح عزّ الدّين المناصرة، منشورات الاختلاف ،الجزائر 2002م ، ص 24.

[3] فيصل الأحمر :معجم السّيميائيات ،ص 33

لا يمكن إغفال ما وصل إليه العرب في العصر المعاصر من كتابات نقدية سيميائية من بينهم :"عبد المالك مرتاض"،"مُحَمَّد مفتاح"، "عبد الحميد بورايو"، "رشيد بن مالك""سعيد بن كراد"،..والقائمة تطول .

كلّ هاته الأسماء برزت وتركت بصمتها في حقل و مجال السّيمياء ،و أبحرت في خارطته النّقديّة المعاصرة لتجد لنفسها صرحا معرفيّا مقابل زخم و غزارة الانتاج الغربيّ .

و باعتبار " السّيمياء" علما حديثا في البحث اللّساني، فالسّؤال المطروح هنا كيف تستقى الآليات و المفاهيم التّحليلية لسيمياء الموت في المجموعة الشّعريّة "فراشة بيضاء لربيع أسود"لـ "عزّ الدّين ميهوبي"؟.

الفصل الأوّل:عتبة الموت في المجموعة الشّعريّة"فراشة بيضاء لربيع أسود"لـ"عزّ الدّين ميهوبي"

1-سيمياء العنـــــوان

1-1 تعريف العنوان

1-2 دلائليّة العنوان الرّئيس

1-3دلائليّة العناوين الفرعيّة

2-سيمياء الغلاف

3- سيميـــــاء اللّون

3-1 الخطاب الغلافي الأمامي

3-2 الخطاب الغلافي الخلفي

رسم الواقع بطريقة مغايرة أكسبه رونق و أيقونة الشّاعر، و لوّن ذلك الواقع بمداد ذاته، باعتباره ناطق و لسان عصره، متحدّثا بكلّ اللّهجات و أمام كلّ الأمم، منتقيا صورة بل لوحة تكاد تلخّص مضمون ما جاءت به المجموعة الشّعرية.

1- سيمـــــــــياء العنـــــوان

استحقّ "عزّ الدّين ميهوبي"عن جدارة لقب شاعر متعدّد المواهب؛ فبسط نفوذه على ممالك عدّة: مملكة العنونة، مملكة الغلاف –الصّورة- و مملكة اللّون.

1-1-تعريف العنوان:

1-1-1العنوان لغة:

إذا عدنا إلى المعاجم اللّغوية فإنّ مفردة "عنوان" تكشف في "لسان العرب"عن:"الكتاب:مشتّق فيما ذكروا من المعنى و فيه لغات: عَنْوَنْتُ و عَنَّيْتُ و عَنَّنْتُ، قال ابن سيده: العُنْوَان و العِنْوَان سمة الكتاب "[1]

1-1-2العنوان اصطلاحا

أمّا من النّاحية الاصطلاحية فقد تعدّدت تعريفات "العُنْوَان" بتعدّد مشاربه بين الغرب و العرب إلاّ أنّها تصبّ في نطاق واحد.

إذ يعرّف "جيرار جينيت"العنوان بـ"عتبة نصيّة أولى و ليس من بين عتبات النّص ما يمكن تجاوزه، و العنوان الجميل اللاّفت هو الطُعم الذّي يوقع القارئ في حبائل النّص"[2].

[1] أبي الفضل جمال الدين مُحَمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري:لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1،1997 م، ج4، [مادة عنا]، ص 452.

[2] عبد الحق بلعابد: عتبات،جيرار جينيت من النّص إلى المناص،تقديم سعيد يقطين، الدّار العربيّة للعلوم، ناشرون، ط1، 2008م، ص

فالعنوان في نظر "جيرار جينيت"و كأنّه يمارس الوظيفة الاغرائية للقارئ ليستميل مشاعره.

إذ يعرّف "بسّام قطّوس":"العنوان نظام سيميائيّ ذا أبعاد دلاليّة و أخرى رمزيّة، تُغري الباحث بتتبّع دلالاته و محاولة فكّ شفرته الرّامزة"[1].

و بهذا التّعريف يكون العنوان آلية من آليات التّحليل السّيميائي، فهويّته و ميدانه السّيمياء و لذلك كان لزاما على القارئ فكّ رموزه و شفراته، ليصل إلى الجماليّة القصوى للنّص الشّعري.

في حين تُعرّف "بشرى البستاني"العنوان على أنّه:"رسالة لغويّة تعرف بتلك الهويّة، و تحدّد مضمونها، و تجذب القارئ إليها و تغريه بقراءتها، و هو الظّاهر الذّي يدلّ على باطن النّص و محتواه"[2]

في حين يذهب "مُحَمَّد فكري الجزّار"إلى القول:"العنوان للكتاب كالاسم للشّئ"[3]و هو أيضا بالنّسبة له" العنوان ضرورة كتابية"[4]للولوج إلى أغوار النّصوص و استنطاقها من خلاله، فالعنوان هوّية النّص. ليضيف بأنّه:"نصّ مختزل ومكثّف ومختصر"[5]فاختزاله لا يمنع من تكثيف الدّلالة و تلغيمها ليصل إلى جماليته.

و مختصر ما ورد في تعريفات النّقاد لـ"العنوان" أنّه ذا أبعاد لغويّة سيميائيّة، فهو بمثابة الرّأس من الجسد.

و قد اهتمّ النّقاد المحدثين و المعاصرين بالبحث في مجال العنوان؛ السّيميائين على وجه التّحديد، فأصبح بذلك علما قائما بذاته، أطلقوا عليه "علم العنونة /La Titrologie ".

[1] بسام قطّوس:سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ط1،2011 م، ص 33

[2] بشرى البستاني:قراءات في الشّعر العربيّ الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1،2002 م ،ص 34.

[3] مُحَمَّد فكري الجزار: العنوان و سيميوطيقا الاتّصال الأدبيّ، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ،1998م،ص15.

[4] المرجع نفسه: ص15.

[5] المرجع نفسه: ص15.

1-2دلائلية العنوان الرّئيس

1-2-1فراشة بيضاء لربيع أسود

لو نتأمّل العنوان الرّئيس للمجموعة الشّعرية -فراشة بيضاء لربيع أسود- لتساءلنا عن أيّ فراشة يقصدها الشّاعر؟و ما نوعها ؟أهي المألوفة أم ماذا؟و لما هي بيضاء ؟و في الغالب الفراشة ملوّنة ليأتي الرّبيع ملوّنا ايّاه بالأسود، فهل الرّبيع أسود حقيقة ؟.

عنوان المجموعة إذن: فضاء لغوّي سابح بإشارات ملغّمة و مكثّفة الدّلالة .

و لو عدنا لعنوان المجموعة الشعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود"لوجدنا الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي" قد انتقى ثلاثة حقول دلاليّة في العنوان الأكبر:حقل الطّبيعة و ما تحمله من كائنات حيّة منتقيّا "الفراشة"، و حقل "اللّون" الذّي بدأه بالأبيض دلالة على الصّفاء و النّقاء و الطّهارة التّي يولد عليها الإنسان، لينهيه بالأسود رمز للكآبة و الحزن و الموت فأعلن الاستسلام النّهائي بدل السّلام، مارّا على حقل اللّون بفصل الرّبيع، فأيّ ربيع يريده الشّاعر أن يكون أسود؟ و هل الرّبيع من سماته السّواد ؟ أم هو انزياح أراده"عزّ الدّيم ميهوبي" باللّغة الشّعريّة في معجمه ، فانتقاله من بياض الفراشة لسواد الرّبيع، هو تعبير عن تصدّي السّواد للبياض الذّي يهزّ الجذوع هزّا، جاعلا من الأسود تيمة بارزة بدل الورود و الأزهار التّي تنتقل عليها الفراشات.

كما أن عنوان "فراشة بيضاء لربيع أسود"إنمّا يأخذنا إلى حياة الإنسان و مراحله فالإنسان فراشة يسعى للحرّية و ينادي بها، و لا يستطيع أن يتحمّل العيش في سجن عنوانه أربعة جدران، أمّا عن الأبيض فالطّفل حينما يولد صفحة بيضاء لا تشوبه أفكار و عواصف الحياة، فالصّفاء و الطّهارة رمزان له، سرعان ما تتغيّر صورته و تبدأ لوحات ألوانه في التدرّج، إلى أن يصل به المطاف إلى السّواد بعد رحلة شاقّة مع مصاعب الحياة و ما تقترفه أيديه من آثام.

ليكون العنوان بذلك؛ رحلة الإنسان في الحياة من صفائه كصفحة بيضاء، إلى صفحة سواد عبر ربيع نُقل إليه، فهو جسر بين حلقتين:حياة و موت.

استهلّ الشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي"عنوانه بفراشة؛"فراشة بيضاء لربيع أسود" و الفراشة في الأصل أشكال و أنواع و ألوان و هي أكثر الحشرات تألّقا، تنمو و تعيش لأسابيع قليلة و انتقالها من زهرة لأخرى و من وردة لأخرى في بساتين و حقول الحياة جعل شعارها السّلام عبر الأبيض ذلك لأنها لا تشّكل خطرا على الإنسان و الحيوان، و تنقّلها من رحيق لآخر هو انتقال من فصل لآخر وصولا لفصل الرّبيع، فأمل الشّاعر في ربيع و غد يزهر بالورود لينير الدروب، جعل أحلامه في النّهاية أسيرة و سجينة الخيال ليكون ربيعه غير كل الفصول لا هو جافّ، و لا ممطر، ولا حارّ إنّما ربيع أسود، ربيع مظلم فكلّ ما ينشره من رحيق زهوره إنّما هو رحيق لليأس و الكآبة التّي تنشر أشعّتها، بل هو رحيق الموت الذي يؤمن به الشّاعر فلا مفرّ منه.

المجموعة الشّعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود"نجدها تتكوّن من ثمانية عناوين رئيسية و ينضوي تحت كلّ عنوان عناوين فرعية ،فجاءت مجموعتنا الشّعرية متميّزة و مختلفة عن المجموعات الشّعرية الأخرى يمكن أن نسمّيها مجموعات شعرية و ليست مجموعة واحدة ؛إذ أن كلّ مجموعة تتضمّن عنوانا رئيسا و تضمّ تحت لوائها قصائد ما يجعل من هذه الأخيرة جزء من كلّ أكبر.

و العنوان الرئيس "فراشة بيضاء لربيع أسود "مجموعة شعرية قائمة بذاتها داخل المجموعة الكبرى لتصبح بذلك مجموعتنا الشّعرية مجموعة المجموعات .

1-3دلائلية العناوين الفرعيّة

أما إذا عدنا للعناوين التّي أفرزتها المجموعة الشّعرية نجد:

1-3-1-النّخـــــلة و المجـداف[1]:

النخلة:شجرة تمر ذات ثمر لذيذ، و المجداف:من الخشب المتين يصنع، و إذا ما عدنا للعنوان و حللناه سيميائيّا يمكن القول:النّخلة" إيحاء لصمود الإنسان و تمسكه بأصالته، و أرضه ليكشف عمق و تجذُّر الشّاعر في المنطقة – منطقة الصحراء - ، و هو الواقع في حين يحيل بنا ا"لمجداف" إلى رموز عدّة؛ رحيل الشّاعر و انتقاله من الصّحراء المنطقة التّي قطنها و غيابه عنها لتجدفه الرّياح و العواصف إلى مكان لأسفار عديدة عبر بحار تحدّث إليها، فانتقل بلغته الشّعريّة متجوّلا في رحاب "حديث البحر"و"قراءة أولى للسّفر".

فالنّخلة و المجداف: انتقال بين عالمين عالم الواقع الحقيقي و هو الأصل، إلى عالم آخر عالم البحر الذي يمتد فيه إلى أبعد الحدود.

مفارقة كبرى يحيل إليها العنوان بعالمين :الصّحراء و البحر؛ عالم ارتسمت فيه حياته و أولى أبجدياته إلى عالم يريد أن يصنع فيه لنفسه قدرا آخر غير ما سُطّر له في الصّحراء، إنّما قدر يسطّره لنفسه في السّاحل، بعد أن جدفه الطّموح و الإرادة، فدفّة الحياة عنده واقعة بين ثنائيتيّ :الأصالة المسطّرة له، و عالم بحر سطّره لنفسه.

"النخلة و المجداف" رسم لعالمين؛ صحراء و بحر "شمال و جنوب" في غمرة الوجودين، فأيّهما يثبت ذاته؟ أهو اثبات الذات في زخم و عقر ضوضاء المدن و في غمرة أمواجها أم هو تحدّي الصحراء بشساعتها للبحر بامتداده؟ .

و هل النّخلة تُستعمل للتّجديف يا ترى في غياب المجاديف ؟أم المجداف يعلن ثورته في البحر أمام صلابة النّخلة التّي فرضت نفسها حتّى في البحر ؟.

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، مختارات شعرية ، دار المعرفة ، 2014م،ص5.

وتنضوي تحت المجموعة الصغرى " النّخلة و المجداف"قصائد أخرى تبرز لنا حتمية وقوع الشّاعر أمام مصيرين نذكر منها :

قصيدة "حديث البحر"[1]:

من قصائد مجموعة "النّخلة و المجداف" فبعد إعلان الانتقال و الرّحيل ، ها هو يثبت ذلك في عنوان القصيدة ؛ فبعد رحيله عن الصّحراء و نخيلها، ها هو يحطّ رحاله مباشرة في البحر بمياهه الزّرقاء الصّافية، بامتداده و اتّساعه، ليعلن له فيحدثّه حديثه الأوّل الذّي انتظره ابن الصّحراء، ابن النّخيل آت، ليطلق العنان لأبناء السّاحل في عقر دار البحار، بل في عقر بحر أنصت، سمع، فتحدّث فأطلق عنانه متحدّ و مصرّ على الحياة في كنف و تحت رعاية بحر كان سببا في هلاك العديد من البشر؛ فهو الحيّ في أحشاء الموت مبيّنا ذلك في قوله[2]:

ناديت البحر

لما يخافك قحط الأرض

و قافلة الأسماك

إلى أن يصل :

ناديت البحر

لماذا الرّمل تمدّد عبر الشّاطئ

ينتظر العودة نحو البدء

و يغمض جفنك

مسكونا بالصّبر و رائحة الصّحراء

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص7.

[2] المصدر نفسه، ص9.

قصيدة حديث الخيمة[1] :

يحنّ الشّاعر لملاذه الأوّل ومنزله الدّار الأولى"الخيمة"، ليحدّثه بأنّه على عهده باق و أنّه ابن الصّحراء، أين عاش ،هو العربيّ ذو المبادئ الأصيلة العريقة المحفورة في الذّهن و المنقوشة على شعر الخيمة بعدم نسيان الأصل الأوّل، موضّحا ذلك في[2]:

الخيمة تتلو سورتها

و الرّمل تثبّث بالنّخلة خلف اللّيل النّاسك

ينتظر الآذان

يا رملا أوفى منّي

و يبقى البحر يصنع المفارقة بين القوّة و العظمة، وبين الموت و الرّحيل، فهو بوّابة نحو المجهول بكلّ متناقضاته، لا يختلف عن صراع الإنسان مع ذاته و مع الآخرين.

قصيدة حديث النّخلة [3]:

النّخلة صورةمن صور الصّحراء النّابضة، يعزف النّسيم بسعفها، فتتولّد الحياة الدّافئة، وتحتفل الخيمة بجود و رخاء أهلها، موطن يغمره الحبّ و الجمال و الجلال**!!** هذا السّكن المفتوح ذاكرة الشّعوب

حديث و اتّفاق آخر يعقده "عزّ الدّين ميهوبي"مع عناصر الطّبيعة"، و هذه المرّة مع النّخلة،بعد البحر و الخيمة، هوإذن اتّحاد العناصر مع بعض مُشكّلة شجرة الحياة و الموت في قاموس الشّاعر.

فمابين نخلة و خيمة، البحر موجود، و بين حياة و أخرى هناك نهاية و موت، و"عزّ الدّين ميهوبي" لن يسقط في البحر، مادام ابن النّخلة و الخيمة فلا خوف عليه، و هو القائل[4]:

كنت أزرع فيها الحدائق..

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص36.

[2] المصدر نفسه، ص 36.

[3] المصدر نفسه ،ص42.

[4] المصدر نفسه، ص43.

أحمل أقمار ليلي البعيده

إلى أن يصل في قوله في القصيدة ذاتها:

يا خيمة..

لست من جاء بحثا عن الماء و العشب

و الاغتراب

و لكن توضّأت بالحزن منذ الولادة..

أيقنت أنّ الولادة حزن

قصيـــــدة الذّبــح[1]:

عنوان اختاره "عزّ الدين ميهوبي" ليكون آخر قصائد المجموعة الصّغرى " النّخلة و المجداف". يوحي العنوان بعنف محقّق"الذّبح"دالاّ على دماء أريقت لأرواح أبرياء، هو إعلان للموت بل القتل الذّي يسود المكان، وإعدام للحياة في ظلّ ظروف يعيشها الإنسان طرفاها موت وحياة، في قوله[2]:

يا شاهد ذبح الكفّ..

أنا من برج

أوّله الألوان

و آخره الأحزان

لتكون المجموعة الشّعرية :"**النخلة و المجداف**" رمزا اتّخذ فيها "عزّ الدّين ميهوبي"من الصحراء بوّابة لأحداث مترامية، فجعل لها مستقبلا و بُعدا استشرافيّا، مستخدما عناصر منطقة الفرجة و الفسحة، فجاءت"النّخلة و المجداف" بكلّ قصائدها تعكس جدليّة الحياة و الموت، جدليّة البقاء و الفناء في ظلّ ما يمارس و ما يدور حول بني الإنسان من أحداث.

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص67.

[2] المصدر نفسه، ص67.

1-3-2-فـــــراشة بيضاء لربيع أســـــود[1]:

عنوان المجموعة الكبرى نفسه عنوان المجموعة الصّغرى"فراشة بيضاء لربيع أسود": أسئلة و تحليلات عديدة يطرحها القارئ.

و المتأمّل لعنوان المجموعة يجد:أن الفراشة إحالة على الإنسان الذّي يسعى خلف كسر القيود أملا في حياة زاهية، إلاّ أن تعميره في هذه الأرض شبيه بحال الفراشة، و البياض في حقيقة الأمر هو السّلام الذّي ينادي به، و يناشده أينما حلّ و ارتحل، فهو الطّهارة التّي خُلق بها وجُبل عليها، حتّى أنّ بسمته و ضحكته شبيهة بربيع ينير الدّروب و يحلّق بالألوان في حقوله، لكن ما يلبث أن تختفي البسمة و الألوان بموت مفاجئ ليعمّ السّواد و الحزن المكان، **قائلا**[2]:

أتوضّأ حين اللّيل ...بضوء النّجم القطبيّ
و أرقص في أعراس الطّين
و أشكّل من أحزان العشب جنائز أقوام و قبائل
في المنفى
و أجئ لأقرأ فاتحة التّأبين

كما يمكن أن يكون عنوان المجموعة الشّعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود" يتلخّص في"شعوب تبقى و أنظمة تزول"فالفراشة البيضاء هي: الشّعب و يده الممدودة للسّلام، في حين الرّبيع الأسود هي الأنظمة الزائلة ممثّلة في من يسيّرها من الحكّام.

وبهذا يكون الشّاعر في حقيقة الأمر حامل للرّاية البيضاء، جاعلا منها شعارا لكلّ زمان، بسمة ينشرها يبعثها، ضحكة يناشدها، لكن سرعان ما تختفي في غياهب الحزن و الموت الحقّ، متمسّكا ببصيص أمل و حياة بعد الحزن و الموت.

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص69.

[2] المصدر نفسه، ص71.

1-3-1-اللّعنـــــــــة و الغفـــــــــران[1]:

مفارقة ضدّية لمدلولين يعكسان نظرة الشّاعر للتّاريخ، فاللّعنة هي المحن و سوء الحظّ الذّي يصيب كيانا، أو يتعلّق بكيان ما، سواء كان شخصا أو مكانا، و اللّعنة إلحاق ضرر، أمّا الغفران فهي إعلان الهدنة و السّماح...الخ

فعنوان المجموعة إحالة إلى المحن التّي مرّ بها الوطن من فجيعة العشريّة السّوداء أو الحمراء التّي خيّم عليها الموت و الدّم و الإرهاب، أتت على كلّ أصناف الشّعب حتّى المثقّفين لم يسلموا، **قائلا**[2]:

"قدر الشّاعر أن يُصلب في حرف..

" و أن يرجم في صحو النّهايات..

كان الوطن على وقع لعنات، حاول الخروج منها سالما عبر مسار الغفران أو ما عُرف بالمصالحة الوطنيّة، فما بين لعنة المحن و زوابعه، سواعد رجال آمنوا بأحقيّة الوطن و الأمل، ما يظهر جليّا في **قوله**[3]:

و حديث النّاس في الشّارع عن طفل شقيّ..

كان يُخفي الخبز في جيب و في الآخر يُخفي

قنبله

حتّى يصل لقوله:

اسألوا النّاس جميعا

"هل صحيح..

"وطن الشّاعر... شمعه

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص95.

[2] المصدر نفسه، ص99.

[3] المصدر نفسه، ص101.

اللّعنة و الغفران ثنائية رسمها "عزّ الدّين ميهوبي"لمرحلة تاريخيّة من مراحل الجزائر، فهي وجه من وجوه إعلان التّسامح بين لعنة الظّالمين و لعنة الإرهاب، و بين النّوايا الخالصة رغبة في المصالحة و عودة التّلاحم الوطنيّ و الوئام المدنيّ، و ميثاق السّلم و المصالحة الوطنيّة، كيف لا ؟ و نحن أبناء الثّورة المجيدة ، ثورة علّمتنا الانعتاق من كلّ أنواع الخضوع، علّمتنا كيف نصنع التّغيير بأنفسنا، و ذلك ما **يتوضّح في**[1]:

ربّما ولّيت وجهي شطر–روما–

وتعلّقت بخيط من دخّان

في جهات الأرض

أو أخطأت في نطق الشّهادة

أنا ما بدّلت ديني

1-3-4- أحـــــزان "السّاموراي"*و رقصـــــة "الميكادو"**[2]:

عنوان مجموعة يُقرّ فيه بزوال السّاموراي، و غياب المحاربين القدامى لليابان بل هي الطبقة العسكريّة ،و ذلك بعد أن فقدوا نفوذهم، وتخلّت اليابان عن النّظام الإقطّاعيّ 1871م ،إذ كانوا أقوى محاربيّ العالم في ذلك الوقت.

لكن ما يلبث الشّاعر إلاّ و يضيف قرينة أخرى مناقضة تماما لما جاء به الجزء الأوّل – الحزن – ليكون الفرح و السّعادة و الأمل و الشّكر، بوجود حاكم يحكم الشّعب، يقود البلاد بل إمبراطور و قائد دولة يعيد الاعتبار لليابان، و يحي الأمل في نفوس الشّعب اليابانيّ، باعتبارها أحزان

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص106.

*ساموراي باليابانية أو بوشي هو اللّقب الذي يطلق على المحاربين القدماء في اليابان .تعني كلمة "ساموراي" في اللّغة اليابانية "الذّي يضع نفسه في الخدمة". رغم أن اللّفظ الأصلي استعمل في فترة لتمييز الرّجال الذين كانوا يسهرون على حفظ الأمن، فقد تمّ تعميم هذه الكلمة لاحقا على كلّ الرّجال المحاربين في اليابان.

[2] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص 115.

**ميكادو هو إمبراطور دولة اليابان، وقائد الدّولة، وعميد العائلة الإمبراطورية اليابانية، ويعتبر بحسب تعريف الدّستور الياباني الحديث على أنّه "رمز للدّولة ولوحدة الشّعب".

السّاموراي و رقصة الميكادو، ليختم عنوانه و يوجّهه إلى "هيروشيما"المدينة اليابانية التّي كانت تحت مجهر الحرب العالميّة الثّانية، وتكون بذلك شاهدة من شواهد الدّمار الذّي ألحقته القنبلة النوويّة على البلاد و العباد، فلا الهياكل سلمت، و لا الأرواح البريئة بكلّ أصنافها .

لوحة إذن يمكن تسميتها بـ"هيروشيما الموت"، رسمها"عزّ الدّين ميهوبي"انطلاقا من الحزن الذّي خلّفه رحيل و غياب السّاموراي عن البلاد، لتبدأ البلاد صفحة جديدة مع ميكادو-إمبراطور اليابان- وحّد البلاد و الشّعب تحت لوائه، لتكون هيروشيما شاهدة عصر حزين لعدم وجود ساموراي مُنقذ، في مقابل ذلك بصيص الأمل و الحياة يعود، فدوّت الأفراح ليُعلن الرقص مكان فراق السّاموراي. **يقول**[1]:

"شيما" رأت طائرا لولبيّا

ومن فرح لوّحت بيديها

فألقى لها قنبله..

أسرعت نحو"هيرو"

رأت طفلها يستحمّ بماء الرّماد..

فنامت على سنبله

بهذا يكون "عزّ الدّين ميهوبي"أعلن مرّة أخرى جدلية الحياة و الموت في عنوانه.

1-3-5- للملائـــــكة النّبـــــؤات للمـــــدائن القيـــــامة[2]:

نقرأ في العنوان: النّبؤات ليست للجميع بل خصّصت لفئة معيّنة؛ الملائكة المصطافون المجنّحون الكرام البررة، ليغوص"عزّ الدين ميهوبي"في أعماق التّاريخ العربيّ، و بالتّحديد يأخذنا في رحلة

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص126.

[2] المصدر نفسه ،ص 137.

للمدائن – المدينة العراقيّة – التّي تضمّ قبر الصّحابيّ "سلمان الفارسي"*

و "إيوان كسرى"** أيضا ؛ ما تبقّى من أحد قصور كسرى

يقول[1]:

قلت يا صاحبي
للملائكة المجد و الوجد

و الصّحو و العنفوان

فقد خصّ الشّاعر " المدائن"دون غيرها من الأماكن بأهوال القيامة، و عظائم يوم الآخرة التّي تحصل للعباد منذ خلقهم إلى آخر الخلق، ليجتمع ملائكته و انسه و جنّه و حتّى الحيوانات.للتّمييز بين المؤمن و الكافر، فالملائكة فريدة من نوعها بطهارتها، و المدائن كانت حاضنة للصّحابيّ المسلم "سلمان الفارسيّ"، و لـ "ايوان كسرى".

1-3-6- شئ من سيـــــرة الطّفـــل المشـاغب[2] :

نقرأ في عنوان المجموعة وجود مميّزات بعينها عن هذا الطّفل؛ المشاغب الذّي يهيّج الشّر، و السّؤال الذّي يُطرح و يبادر للأذهان من هو الطّفل المشاغب ؟أهو الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي"نفسه بشغبه في طفولته؟أم من يكون يا ترى ؟فقد انطلق الشّاعر في عنوانه من " الـ"

* سلمان الفارسي أو سلمان المحمدي 36هـ-656م، وأصله من منطقة أصبهان في ايران هو صحابي دخل الإسلام بعد بحث وتقصٍّ عن الحقيقة،و هو الذي أشار على النبي مُحَمَّد في غزوة الخندق أن يحفروا حول المدينة المنورة خندقا يحميهم من قريش ، وذلك لما له من خبرة ومعرفة بفنون الحرب و القتال لدى الفرس ، و يعتقد أنه مدفون في بلدة المدائن قرب بغداد.

**إيوان كسرى أو طاق كسرى :كما يعرف محلياً، هو الأثر الباقي من أحد قصور كسرى آنوشروان، يقع جنوب مدينة بغداد في موقع مدينة قطسيفون الذي يقع في منطقة المدائن في محافظة واسط بين مدينة الكوت ومدينة بغداد .

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص151.

[2] المصدر نفسه ،ص155.

التّعريف؛ أي التّحديد ليصل به إلى اللاّتحديد – تعدّى للأطفال المشاغبين – ربمّا هو شغب العرب ليتعدّد بعدها المشاغبون و يتنوّع شغبهم، **قائلا**[1]:

فأنا أحبّ "سلاحف النينجا"

أبي هل أشتري علكا..

و أقراطا من الجوهر..

و ابريقا من المرمر

و اسورة نحاسيّه

لذلك ضمّت المجموعة الصّغرى"شئ من سيـــرة الطّفـــل المشـاغب"قصيدتين موسومتين الأولى بـ"أوّل الشغب"[2]فمعنى ذلك أن الشّر في بدايته، بل هو لغط و جلبة ليس إلاّ، لم تصل لذروتها، لتأتي القصيدة الثانية معنونة بـ"آخر الشّغب"[3]فمادام هناك أوّل فهناك آخر و نهاية للشّغب، فان كانت البداية على نار هادئة مجرّد جلبة ،فانّ الأخيرة تهييج له .

1-3-7-غـــــوايـــــات أريـــــك* في رام اللّــه[4]:

من عبق التاريخ ارتحل لـ"رام الله"** وصل بـ"غوايات أريك في رام الله"قدّم رحلته، عنوان مشفّر يحمل الكثير من الدّلالات، بعث به"عزّ الدّين ميهوبي"من خبايا التّاريخ، ليستحضره مجدّدا في عنوان من عناوين المجموعات الشّعرية؛ إذ كان لـ"رام الله"وقعها منذ غابر الأزمان، فالتّنقيب و البحث عن "رام الله"يقودنا إلى قصّة سيدنا يوسف عليه السّلام، و تشير الدّراسات الأثريّة أنّها

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص161،162.

[2] المصدر نفسه ،ص157.

[3] المصدر نفسه ،ص164.

* أريك في اللّغة النّرويجية يعني الملك الوحيد أو الملك الخالد أو الأقوى eirikerتعني وحيد أو قويّ جدّا أو riks تعني ملك.

[4] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص171.

**أطلق الصّليبيون عليها اسم " Ramallie " أو " Ramalie " حيث توجد بقايا برج صليبي في البلدة القديمة لرام الله.

حدثت في مدينة "رام الله"،لتكون قصّة تاريخ ،جدران تحكي ،مدينة شاهدة على نسج خيوط "أريك"وهنا رمز لإخوة "يوسف عليه السّلام"،و غواية الشّيطان لهم برميه في الجُبّ، **يقول**[1] :

السّلم خرافه

و الذّئب يموت ..

إذا افترس الغربان خرافه

نقرأ في العنوان أيضا: عبر العصور و الأزمنة الإغراءات و الشّهوات تغازل "رام الله"من طرف "أريك"، ليتلوّن "أريك" كلّ مرّة، و يأخذ شكلا فتارة إخوة يوسف عليه السّلام، و أخرى الحروب الصليبيّة، و هذا الانتداب البريطاني، وبين هذا و ذاك الأشكال متغيّرة، و اللّون واحد ؛أريك لم يتغيّر هو العدوّ و الشّيطان و المغتصب الذّي يسعى فقط للكرسيّ، و بين كلّ هذه الشّياطين "رام الله"حكاية رمز التّحدّي و الصّمود لمقاومة شياطين الفساد، قائلا[2] :

كاليغولا لم يتعب..

نيرون كذلك لم يتعب

هولاكو الآخر لم يتعب

و أريك العائد منتصرا من صبرا

إلى أن يقول في القصيدة ذاتها:

ألست أريك العاشق للدّم ..

أريك يفتّش عن حرب أخرى

"رام الله"من رموز فلسطين، إغراءات و شهوات يبعث بها اللّوبي الصّهيوني عبر التّاريخ للمدينة ، كي تُهوّد و لم تنجح، فبالرّغم من مسيحيّتها تاريخيّا إلاّ أنّ معظم قاطنيها و سكّانها اليوم

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص179.

[2] المصدر نفسه،ص176.

مسلمين مع وجود للأقليات من الأديان الأخرى، يغازلونها بالكرسيّ و يمنحون الألقاب لها لشئ واحد هو تهويد "رام الله" قلب الحكومة الفلسطينيّة، **يقول**[1]:

أمّي ترضعني قصص التّوراة

و تزرع في شفتي الأحقاد

القتل هو الميلاد.

إغراءات شياطين الإنس لرام الله لم ينجح، لتبقى شامخة مرتفعة رغم الاغراءات و لن تطأ أقدام الشياطين هذه الأرض ،فصمودها في وجه "أريك" شيطان الوجود"أرييل شارون"يبعث بسمومه للمنطقة، بل يبعثها لممثليّ الحكومة المؤقتّة، و يغويهم بكرسيّ السّلطة، إلاّ أنّ شيطانيته لم تدم طويلا ،فها هو من كان عنوانه القتل و رمزه الإبادة و المجازر، و من قضى عمره بتعذيب الفلسطينيين لم يحظى بموت إنسانيّ؛ إنّه جثّة محنّطة، موت إكلينيكي نهايته، **يقول**[2]:

لا شئ سوى الخوذات ...

و دبّابات في سيناء

و هذي صورة لي في مكتب "بن غوريون"

السّلم خرافه

و الذّئب يموت

فهل حقّ لنا القول: أنّ غواية "شارون""لـ"رام الله"عادت بالسّلب عليه، وتكون العدالة الإلهية فشيطان أغوى و نال عقابه، وهل يمكن القول أيضا أنّ "شارون"صيّاد المجازر؟ أم هو اقتناص الفلسطينيّ و اهتمامه بالكرسيّ فكانت لغواية الشّيطان دور في بعث الرّوح و السّير وراء ذاك الحلم أريك"الملك الخالد و الأقوى بغوايته،فهل خلد من تربّع على عرش الكرسيّ أكثر من ثلاثين سنة؟"شارون "إرهابي القرن قاتل الإنسانيّة، غوايته لم تنجح في بسط نفوذ شيطانه في "رام الله"

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص 181.

[2] المصدر نفسه، ص179.

فهي الاستثناء و الصّمود و الارتفاع في وجه"شارون"الذّي مارس القهر و التّعسف بحكم كرسيه على أبناء فلسطين.

هي إذن مفارقة أخرى أرادها "عزّ الدّين ميهوبي" في عنوان مجموعته "غوايات أريك في رام الله"فأريك بغوايته، رُمي في مزبلة التّاريخ و"رام الله" المدينة صامدة في وجه الشّياطين الجهنّمية .

1- قصيدة الطّفل الايطالي[1]:

فضاء شاسع يحمل العديد من الدّلالات بؤرة لاستكناه الرّمز،حامل لمعاني عدّة، فايطاليا مهد الثّقافات و الشّعوب عاصمة الحضارة الرّومانية .

فالطّفل الايطاليّ حلقة بين عهدين:الموت الأسود الذّي قضى على ثلث السّكان عام 1348م و ثورات الطّاعون التّي ضربت البلاد مرارا و تكرارا، إلاّ أنّ الطّفل الايطالي لم يبقى مكتوف الأيدي أمام الهزّات التي تعصف به، فلم يترك براءته تُستعبد، فعزم و أصرّ وواجه كلّ العواصف، لتكون ايطاليا حاضنة النّهضة الأوروبيّة، و قبلة الفنّ و الأدب؛ فهي منعطف لمحطّتين في التّاريخ،كان الطّفل الحلقة الذّهبية التّي نقلته من وحشية اعتداءات الثّورة، إلى النّهضة الفكريّة، التّي طوت بها صفحة الدّمار و الموت، ليحلّ محلّها الأمل و الحياة و العزيمة و الإصرار.

ليختم "عزّ الدين ميهوبي"عنوان قصيدة " الطّفل الايطالي" موجّهة إلى "جينو لوكابوتو"*، ليكون بذلك الطّفل الايطالي رمزا لشخصية "جينو لوكابوتو"الحامل لجينات عربيّة فلسطينيّة، فهو بذلك حلقة ذهبيّة بين عالمين العربيّ و الغربيّ، انّه تحدّ و عزيمة لإبراز صورة الإسلام، في مقابل الثّقافة الرّومانية، إصرار على حضور القضيّة الفلسطينيّة في قلب ومهد العاصمة الرّومانية ايطاليا بعد أحداث الدّمار، **يقول**[2]:

ينام بعينيك

طفل الكلام الجميل

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص190 .

*ايطالي الجنسية ،أسلم و تزوّج من فلسطينية قال فيه "عزّ الدين ميهوبي":"لم يتزوّج القضيّة فحسب بل تجاوزها".

[2] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود،191

لروما التّي تحتفي بالقصائد

و الشّعراء القدامى

و تلك الحجارة تنفث تاريخها

في الشّوارع

لأنّك جينو الذّي يحتمي بالنّساء

إلى أن يصل في قوله:

تأتيك روما

و تصحو على شفتيك فلسطين

و الأنبياء

2- الطّـــفـــــل المـــصـــــري[1]:

براءة أخرى تطلق العنان، طفل آخر يُعلن الأمل و الحياة لمواجهة الدّيكتاتور، و التعسّف، و الظّلم، رافعا شعار"الشّعب يريد التّغيير"في وجه الاستبداد؛طفل حلم، نهض، فنادى بالتّغيير موجّها باعثا برسالته إلى "أحمد بخيت"* **قائلا**[2]:

عندما سألته العصافير عن سرّ أشعاره

قال يسكن قلبي الكناري

عندما سألته الشّوارع

عن صمت أقدامه حين يمشي

أجاب دمي نبتة في البراري

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص192 .

*شاعر مصريّ ،عاش طفولته وتلقّى تعليمه في القاهرة، تخرّج من كلية "دار العلوم"، جامعة القاهرة، عام 1989م،عمل معيدًا بقسم النّقد والبلاغة والأدب المقارَن بكلّية الدّراسات العربيّة والإسلاميّة، جامعة القاهرة، فرع الفيوم، منذ عام 1990م؛ ثم ترك العمل الأكاديمي منذ سنوات ليتفرّغ للكتابة.

[2] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص192.

عفوية، و براءة، و، آمال تنطلق من الأدب، لتشمل جميع مناحي الحياة؛ فالأدب أوّل من أعلن التّغيير في وجه القاعدة- حالة الطّوارئ- و رفض القديم، رغبة في جديد يواكب العصر، من تمرّد الأدباء، نادى الشّعب بالتّغيير و التّجديد.

3- قصيـــــــدة الغيـــمـــــــة[1]:

رمز يدلّ على وجود الماء؛ أراده "عزّ الدّين ميهوبي" كرمز استشرافي، لتنبّؤه بوجود حياة رغم السّواد و العواصف التّي تهزّ العالم من ثورات ودمار،فبعد الدّماء و المعاناة، سيكون حليف الإنسان أمل جديد، و الماء دلالة على الخير و البركة، **يقول في هذا الصّدد**[2]:

و المدينة تغلق أبوابها
في وجوه البرابرة القادمين
لذبح الصّوامع...باسم الاله
و تخرج عصفورة الشّعر
من غيمة لا تنام.

4- قصيـــدة النّـــخـــلة[3]:

رمز لصمود الإنسان فالنّخل لا يموت، يعيش حتّى في الرّمال و يكبر دون ماء، حالها حال الإنسان الصّامد رغم هزّات الطبيعة وتعسّف بني الإنسان ضدّ أخيه، و هي صورة الصّحراء النّابضة و موطن الحبّ و الجمال، **قائلا**[4]:

فأبصرت في شهقة الرّمل أجنحة النّخل
و الطّفل أنت
تراقصه أنت..

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص197 .

[2] المصدر نفسه ، ص198.

[3] المصدر نفسه، ص200.

[4] المصدر نفسه، ص201.

5- قصـــيدة البـــابـــلي[1]:

نسبة إلى من يقطن "بابل" بلاد ما بين النّهرين أو بلاد سومر، فهي الدّولة التي أسّسها "حمو رابي"أعظم ملوكها، فهل أراد "عزّ الدين ميهوبي"العودة بالعنوان إلى "حمّو رابي"و فترة قوّته، و ما كانت عليه بابل في زمن مضى، و ما أصبحت عليه الآن ،و هي تحت وطأة الاحتلال الأمريكيّ فالدّماء و السّواد المبثوث في كلّ مكان لم يقهر أبناء الوطن، لإثبات الذّات و التّحدي و الإصرار للوصول إلى أعلى القمم، **موضّحا في**[2]:

ترى في الشّعر بابل

و ترى طفلا على جسر الرّصافة

و شناشيل نساء

إلى أن يصل في قوله:

ترى الشّارع يجري

نحو نهرين من الحزن

فيبكي

شجر الدّمع قنابل

كم نبيّا تشتهي بغداد

6- قصيـدة رومـــــــــــــا[3]:

عاصمة ايطاليا، بل المملكة الرّومانية التي حكمت بأيدي من حديد، ففرضت سلطتها على العالم، و بسطت نفوذها على جميع أرجاء المعمورة، فكان الخطاب موجّه لأجل "حنّبعل"، بحنكته

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص 208.

[2] المصدر نفسه، ص208.

[3] المصدر نفسه ،ص202.

و ذكائه و فطنته، وقعت "روما"فريسة بين يديه، فهو أكبر كوابيسها وكاسر هيبتها، روما بين الأمس والحاضر: بين القوّة و العظمة، و بين الضّعف والذّل، **يقول**[1]:

هنا حنّبعل يتابع أخبار بورصة قرطاج

يسأل عن طقس روما

و يبصق حين يرى قلعة لم تنلها يداه

إلى أن يصل فيقول:

يحاوره صحفيّ بليد

فيحسبه من نجوم الكوميديا

و النّساء يوزّعن ما شئنا من شكولاطا

لكلّ الشّفاه

7- قصيدة السّـــجـن[2]:

عنوان آخر نقرأ فيه الكثير من الرّموز و الدّلالات؛ فهو القيد و العبوديّة، بل هي سلاسل لسلب حرّية الإنسان، كما أنّه نوع من أنواع العقوبات وفق القانون؛ فإمّا ظالم، أو مظلوم و في كلتا الحالتين فالسّجن قمع و ظلم و غياب للنّور،قيود و سلاسل شمس الحرّية تأفل، لكن أمل موجود بغد أفضل كما أنّ السّجن نفسه، كان أملا و ملاذا ليوسف"عليه السّلام"، و إذا ما سأل أحدهم عن نعمة الحرّية، فالجواب يكون: اذهب للسّجن، **يقول**[3]:

بعض النّاس ينظرون الى السّجن

كأنّه القيامة

و أنا واحد

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص2003.

[2] المصدر نفسه ،ص222 .

[3] المصدر نفسه، ص226.

لست منهم..

أرى السّجن حديقة

8- قصيـدة الجـــــدران[1]:

حواجز سجن آخر بين الأحبّة، و القويّ من يفرض نفسه، فيكون سيّد الكلّ، و من بيده السّلطة، بدأها "عزّ الدّين ميهوبي"بالسّجن، مرورا بقصيدة"الجدران"، وصولا إلى"الزّنزانة"و كأنّه يتدرّج في وصف انتشار السّواد و الظّلم والعبوديّة.

يتوضّح ذلك في قوله[2]:

ليتكم كنتم معي ..

ليتني أسمع أصوات النّوارس

و أراكم خلف جدران السّجون..

أنا لم أطل من السّجان كوب ماء..

و أنا لم أسأل الحاكم أن يمنحني حرّية من جيبه

1-3-8-كاليــغولا* يرسم غرنيكا الـرّايس[3]:

عنوان آخر للمجموعة الشّعرية الصّغرى التّي تنضوي تحت"فراشة بيضاء لربيع أسود"، فالعنوان يحمل في ثناياه رموزا عدّة :إذ يتكوّن من ثلاث مدلولات أعلنها فيما بعد"عزّ الدّين ميهوبي"كقصائد منفردة .

"كاليغولا" إمبراطور روماني عرف بوحشيّته، و جنونه، و ساديته، و اشتهر بطغيانه، و كان نموذجا للشّر، و جنون العظمة، فكان أكبر طاغية في التّاريخ.

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص 225.

[2] المصدر نفسه، ص226.

*كاليغولا ثالث امبراطور روماني، حكم في الفترة ما بين عامي 37 حتى اغتياله عام 41 ميلادية.

[3] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص225 .

لتكون"غرنيكا"قرية في إقليم الباسك باسبانيا، تعرّضت للدّمار أثناء الحرب الأهليّة 1939/1936م خلال القصف الألماني و الايطالي، و قد خلّدها الرّسام العالمي "بيكاسو "في لوحة مشهورة، تعرض المأساة و المعاناة، و بذلك أصبحت اللّوحة رمزا عالميّا ضدّ الحرب، و تجسيدا للسّلام و الأمن، ليأتي المدلول الثّالث في العنوان "الرّايس"، فالرّايس واقعة بين احتمالين :أ هو الرّايس"حميدو" الأسطورة البحريّة الكبرى أمير البحار، المدافع عن شواطئ البلاد، حتّى الموت؟ أم هي المدينة التّابعة لمحافظة بدر بالمدينة المنوّرة؟ فهي مدينة تمتاز بصفاء مياهها الزرقاء، و سحر شعابها المرجانية، و هدوئها، وذهبية رمالها.

و مابين اختلاف تأويل المدلولين و تعدّد رموزهما، إلاّ أنّ الجامع بينهما هو الأمن و الصّفاء والسّلام.

فالوحشيّة و الدّمار و السّواد التّي بعث بها "كاليغولا" الإمبراطور أثناء حكمه، لم تقف عند حدود وفاته، بل كانت للوحشيّة جذور استوطنت في التّاريخ، ليصل صداها حتّى العهد الحديث 1939/1936من خلال الحرب الأهليّة الاسبانيّة، و تكون "غرنيكا"شاهدة مجزرة من مجازر الدّمار [الحطام ،الموت ،منبع الدّماء....]

إلّا أنّ غرنيكا لم تبقى أسيرة الموت، فكان لريشة "بيكاسو"، و بصماته التّشكيلية الأثر البارز في توديع و تشييع جثامين الموت، و إحلال رسائل السّلام في كلّ البقاع، فرسم صورة مشرقة لـ"الرّايس"حالمة بمياه زرقاء، و شعاب مرجانيّة و لرايس "حميدو"حامي و أمير الشّواطئ البحريّة من القراصنة .

فما بين موت و دمار، هناك حياة و أمل، فريشة "بيكاسو" خطّت حقيقة الموت و البأس ونسجت واقعا مغايرا مليئا بالأمل و الحياة؛ صفاء و نقاء و هدوء، فما بين ظلم و موت "كاليغولا" ها هو يرسل وحشيته عبر كبسولة الزّمن إلى غرنيكا المغلوب على أمرها، إلا أنّها بأنامل إبداع "بيكاسو" ترسي دعائم الدّيمقراطية لرايسين :"رايس" أمير البحار حامي البلاد

و "رايس"الأخرى الأرض الهادئة و الجنّة السّاحرة؛ فهي مفارقة التّاريخ بين موت، و بين حياة وأمل.

و ما العنوان إلاّ صورة لواقعين؛ بين سواد يخيّم العالم بحروبه، و بين بياض و سلام تناشده شعوب المعمورة.

و المجموعة الشّعرية الصغرى "كاليغولا يرسم غرينكا الرّايس"تنضوي تحتها قصائد منها :

1- قصيـــــــدة اللّيـــــل[1]:

عنوان يحمل في جعبته مدلولات متناقضة بين وحدة و ظلام و سواد يخفيه و خوف يملأ الوجود في هذه الفترة الزّمانية، ومدلول آخر قصّة عالمين، ينسج خيوطها ليل يبوح بخبايا الوجود، عالمين لوجود واحد؛ عالم الوحدة و الظّلام و السّواد خوفا من المجهول، وعالم الهدوء و الحقيقة و الرّاحة ، بين ضوء القمر ،وبين سراب الأوهام يملأه أشباح الحزن و الألم، كما أنّه يوحي للأمل و النّور و الحبّ، **يقول**:

من ثقب الباب يجئ اللّيل..
و تطلع شوكة صبّار سوداء بحجم
القبر المنسيّ بعيدا
اللّيل يجئ وحيدا
من نافذة الجوف المخبوء
يأتي الفرح الموبوء
و هذا اللّيل فجيعه

2- قصيـــــــدة الحلـــــــم[2] :

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص267 .

[2] المصدر نفسه ،ص 268.

انطلق الشّاعر في اختيار مضمون قصيدته من " الـ" التّعريف ليكون القصد أحلام لا حلم واحد تمنيّات عدّة يصبو لها ،لذلك قد يكون حلمه حلما جميلا ، كما قد يكون معاكسا لتوقّعاته، و الحلم يكون إمّا: تخيّلات، أو مكبوتات يودّ تحقيقها، كما قد تكون خالية من المنطق، و ذلك ما **يتوضّح في**[1]:

الشّارع يبحث عن ضحكة يوسف

في المقهى..

النّادل يكسر أزرار التّلفاز..

و يبصق في وجه الحال تعزية..

ينام النّاس ..

و تصحو جماجم حوش مذبوحه..

حلم كان مركزه "يوسف"محقّق الأمن، في ظلّ القحط، لكن سرعان ما يصحو ليجد القتل، و الذّبح لجماجم مزروعة في كلّ مكان.

قصيـــــــدة الدّفتـــــــر[2]:

علامة تخبّئ الكثير من الرّموز أهو دفتر يومي ؟أم هو دفتر ذكرياته و أفكار يدوّنها الشّاعر ؟ما الذّي يدوّنه؟ أ هي آماله أم معاناته؟ أ هو أمل يريد تحقيقه أم ألم يخبّئه في ثنايا نصّ سيغلق ليبقى محفوظا لا تراه الأعين و لا تسمع به الأذان؟ ، أهو دفتر سواد أم دفتر بياض ؟أ هو سجل التّعازي أم سجل الأفراح و عزم المدعوّين؟ما نوع الدّفتر أ صغير الحجم ؟أم كبيرا أ هو مسجّل أم خال ؟أ أوراقه بيضاء ؟أم سوداء ؟و في كلّ هذا دفتر من ؟.

أسئلة تطرح عن الدّفتر، و الإجابة عنها لا تكون إلاّ بفتح صفحاته، و فكّ رموزه؛ رموز دفتر

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص268.

[2] المصدر نفسه ،ص277.

فراشة بيضاء لربيع أسود، **قائلا في دفتر رسمه**[1]:

أفاق على ورقة

رسم الطّفل في صدرها مشنقة

يموتون كلّ صباح

يموتون..

و الطّفل يسأل عن دفتر الرّسم..

صار سجلاّ لتدوين كلّ التّعازي

3- قصيـــــــــدة الفستـــــان[2] :

إحالة إلى ما تلبسه النّسوة، لكن أيّ فستان يقصده الشّاعر، أهو فستان الفرح " الأبيض"و هو سنّة لمعظم الشّعوب تقريبا، فالأبيض دلالة على الفرح و العرس، أم هو الفستان الأسود وعادة ما ترتديه النّسوة أيّام الحزن، دلالة على فقد عزيز،أم بياض الكفن و عودة إلى الأصل الأوّل؛ فهو بين الصّفاء و الطّهارة و النّقاء، و بين السّواد دلالة على الحزن و البأس الذي يعمّ الأرجاء.كما أنّه ستر و إخفاء للوجود في ظلّ الموجود.

وبين هذا و ذاك عالمين متناقضين كلاهما يريد إثبات وجوده وسط فوضى الألوان و تغييبها فالأبيض موجود كما الأسود، إذن لونان يطغيان على وجود و حياة الإنسان،**يتوضّح في**[3]:

حليمة قالت لنا:

قمر يتجوّل بين الشّوارع بحثا عن الشّمس

كنت مثل نساء المدينة

أحصي الدّقائق

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،،ص286.

[2] المصدر نفسه ،ص280 .

[3] المصدر نفسه، ص 280،281.

أسأل عن تاجر من فرح

يبيع فساتين عشق

و يرسم في أعين الفتيات

سماء وقوس قزح

و يأتي الذّي لم يكن أيّ شئ

هل يجئ غدا؟

دون نعش مسجى على هدبي...

مرّ عام و لم تلبس الفتيات فساتينهن

و لم تتجمّل حليمة بالكحل

4- قصيـــــدة الـــــرّأس[1]:

مدلول آخر على معاناة،على حرب و يأس و سواد يخيّم المكان، يعلن الموت في كلّ زمان، حتّى الرّأس لم تسلم فشوّهوا الجثث، و كانت الرّأس الهدف، بماذا تفيد و لماذا كلّ هذه البشاعة ؟،أ لهذا الحدّ غابت الإنسانيّة في رحم من ينادون و يرفعون شعارات الدّيمقراطية ؟قتل و سفك دماء، جثث تشوّه فقط الرأس الهدف. أ هو رأس أمريكا الذّي تبحث عنه الدّول العربيّة ؟أم هو الكيان الصّهيوني الذّي يُنتظر فنائه؟ أم هو رأس العرب ؟و أمنية الآخر في زوال آخر رأس تمثّل العرب؟أسئلة عديدة اجابتها في الرأس، **قائلا**[2]:

رأسه في العراء

دمه شهوة في المسافات و الأقحوان

يده في العراء

ظلّه في المكان

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص294.

[2] المصدر نفسه، ص 294.

وزّع الآثمون بقايا الذّي لم يزل منه

ساحة الشّهداء

رأس من هذه؟

يد من هذه؟

لم يجب ..

و اكتفى بالبكاء

5-قصيـــــدة الـــــوردة[1] :

جعل الشّاعر "عزّ الدين ميهوبي"من عنوانه مؤنّثا ، فمن تكون الوردة ؟في إحالة إلى تعدّد رموزها ،فهي الحبّ و المودّة، كما تحمل في طيّاتها رموزا أخرى من خلال ألوانها و أشكالها، فهذه حمراء للحبّ، و الصّفراء للغيرة، و البيضاء للصّفاء و الأمل، ناهيك عن الأشواك التي تحملها في ساقها، فبقدر الجمال الذّي تبعثه و الرّائحة التّي تنشرها، بقدر الألم الذّي تتركه في نفس صاحبها إذا لم نحسن إمساكها، فهذه عن فراق، و تلك عن خوف لفقدان، و أخرى استسلام لضياع ...الخ أ هي يا ترى الحبيبة أم الوطن ؟أ هي الزوجة أم في كلّ هذا هي الأمّ؛ فبقدر غضبها على ابنها إلاّ أنها أعظم حنان و حبّ في الوجود، **يقول**[2]:

أ

طفأت شمعة

مسحت دمعة

رسمت وطنا من رغيف

وشمت صورة لمدينتها ..

وردة عطرها من دمي

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،،ص273.

[2] المصدر نفسه، ص273.

شوكها في فمي

قطفتها يد ..

يد من؟

وردة من وطن

كما للوردة رائحة ليست ككلّ الروائح، بل عطر تعجز الأحرف عن وصفه؛ فلغة الوردة زئبقيّة لا يمكن الإمساك بها.

6- قصيـــــدة كاليـــــغولا[1] :

إمبراطور رسم خيوط عالمه، نسج واقعا لا أساس له، بجنون عظمته حَكَم، وحشيّة زرعها، إنسان الموت عنوانه، الحزن سيّده و القتل هوايته، قانون خاص به؛ فكان بحقّ غولا في حكمه، سواد و حزن موت و معاناة ما نشره، وذاك ما ينطبق على كلّ ديكتاتور يطغى في بلاد العرب، فأبى أن يسلّم و ينزل من عرش الحكم فحقّ لنا إطلاق "كاليغولا" العصر و الزّمان عليهم فهذا في شمال إفريقيا، وذاك في المشرق، و آخر في الخليج العربيّ، يقتلون من كانوا سببا في رفعهم لتلك المنزلة، و يوم تنتهي صلاحيّتهم لا يعترفون بذلك، ليكون القتل و الحزن عنوان مناشير يصدّرونها – فمثلما رفعك الشّعب هو من سيسقطك يا "كاليغولا"-**يقول**[2]:

نسي النّاس من خوفهم اسمه

لم يكن صالحا أو علي

لم يكن أيّ شئ

و كان اسمه كاليغولا..

من الدّم يقتات

كاليغولا اللّعين

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص297 .

[2] المصدر نفسه، ص297.

قصيدة "كاليغولا"إحالة إلى أحداث الرّبيع العربيّ، و ما أحدثه الكاليغولين في أوطانهم، فهذا "بن علي"في تونس، و"عبد الله صالح"في اليمن.و القائمة تطول.

5- قصيـــــدة غرنيـــكـــا[1] :

من قرية عنوانها الموت و اليأس، بعثها "بيكاسو" بريشة رَسْمه و أنامل إبداعه، فكانت لوحة أخرى مفارقة تماما للأولى، عنوان تمجيد السّلام و الأمن، في مقابل الحزن والموت.

هاهي "غرينكا" رسمت، و ترسم معالم ديمقراطيّة بعد وحشيّة مضنية من طرف "كاليغولا" التّي بعثها من أغوار سنوات حكمه، إلى عهد حديث فكان "بيكاسو"بلوحته شامخا مدافعا عن السّلام، رافعا التّحدي، ليكون الأمل و السّلام عنوان لوحة جديدة لغرنيكا، **يقول**[2]:

اللّون الأبيض غرنيكا

اللّون الأخضر غرنيكا

اللّون الأحمر.. غرنيكا

غرنيكا الرّايس بالأحمر

من يعرف منكم بيكاسو؟

غرنيكا

في ختام هذا يمكن القول "فراشة بيضاء لربيع أسود"،تحمل دلالات عديدة، تتشظّى في مجموعة شعريّة فرعيّة .

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص299.

[2] المصدر نفسه،ص301.

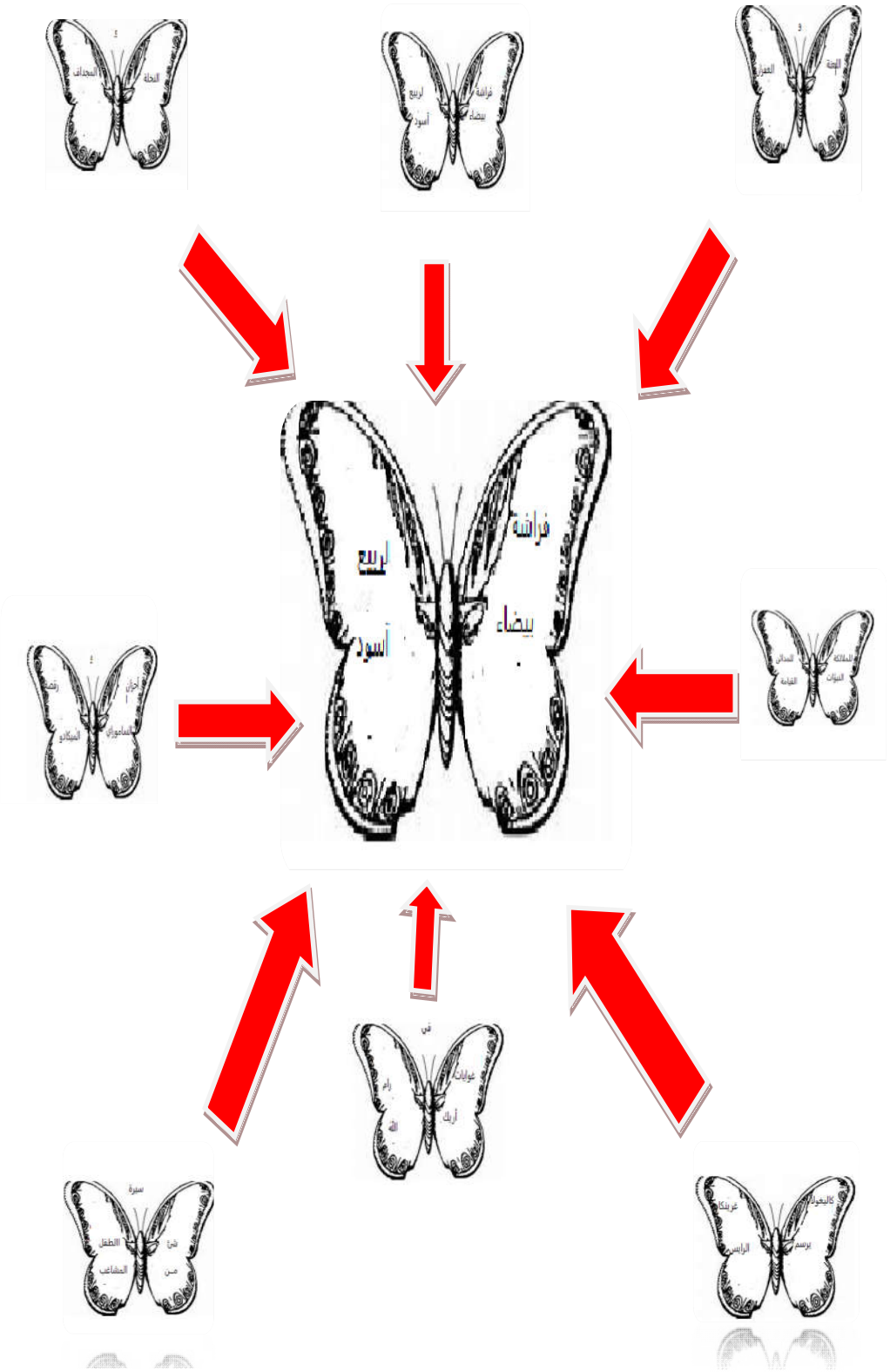

– ر.ت يوضّح المجموعات الشّعرية الثّمانية التّي تحملها المجموعة الكبرى "فراشة بيضاء لربيع أسود"–

كتبت جلّ عناوين المختارات الشّعرية بخط غليظ أسود؛ فهو يركّز عليه في كلّ العناوين فهو إذن حلقة تطغى في وجوده ، كما يلاحظ من خلال عناوين القصائد غلبة العواصم و المدن [روما، مدريد ..]التّي كان لها الأثر و الوقع الكبير على الحضارة العربيّة الإسلاميّة، و التّي بدورها انعكست على حياة الشّاعر، و كأنّها رحلات و محطّات حطّ بها شاعرنا، فاكتشفها بحروفه و خياله، إذ أبحر في سماء الشّعر، فأنتج عناوين تفيض رمزا و غموضا، فلم تكن عناوينه اعتباطيّة بقدر ما كانت مقصودة.

2-سيـــــــمياء الغـــــلاف

شاعر من مملكة الشّعر ظهر، إلى مملكة الغلاف وصل، و لسحر اللّون و اللّوحة أعلن تربّعه الشّعري.

فما ميزة الغلاف المستعمل في المختارات الشّعرية – فراشة بيضاء لربيع أسود-؟،و ما دلالة ما وظّف؟ و ما الغاية من استعمال الألوان التي أرادها الشّاعر رسالة مشفّرة للآخر؟ ليفكّ ما فيها من رموز، ليكون ساحر الصّورة- الغلاف- أيضا بألوانه فهو بذلك فنّان مبدع، أينما ارتحل بين الفنون و الآداب وضع بصمته.

2-1 الغلاف لغة:

تعدّدت تعريفات "الغلاف"لغويا إذ ورد في" لسان العرب":"الصّوان وما اشتمل على الشئ كقميص القلب و كِمَامُ الزّهر و ساهور القمر، و الجمع غُلُف، و الغلاف: غلاف السّيف و القارورة و سيف أَغْلَف و قوس غَلْفَاء و كذلك كلّ شئ في غلاف، و غَلف القارورة و غيرها و غلّفها و أغلفها أدخلها في الغلاف أو جعل لها غلافا، و الغلاف وعاء لما يوعى فيه، و الغَلَفُ الخصب الواسع"[1] .

و الغلاف إذن من ميزاته: وعاء لشئ آخر يكمن داخله، و الغلاف في حدّ ذاته واسع حاله حال المتن.

[1] ابن منظور:لسان العرب، ج 5، مادة [غلف] ، ص51،52.

2-2 الغلاف اصطلاحا

أمّا اصطلاحا فقد أدلى اللّغويون و المهتمّون بدلوهم في هذا المجال؛ إذ يقسم"جيرار جينيت" الغلاف إلى أربعة أقسام مهمّة :"**الصفحة الأولى** للغلاف و أهم ما نجد فيها :الاسم الحقيقي أو المستعار للمؤلف،عنوان أو عناوين الكتاب ، المؤشّر الجنسي ،اسم أو أسماء المستهلّين، اسم أو أسماء المسؤولين من مؤسسة النّشر ، الاهداء التّصدير **أمّا الصّفحة الثّانية و الثالثة** للغلاف و تسمّى كذلك الصّفحة الدّاخلية ، أمّا **الصّفحة الرّابعة** للغلاف فهي من بين الأمكنة الإستراتيجية للغلاف خاصّة و الكتاب عامّة و نجد فيها تذكير باسم المؤلّف ،عنوان الكتاب كلمة المؤلّف".[1]

فالغلاف إذن طبقات و أجزاء متدرّجة للوصول إلى المتن و المضمون، كما تعرّف الصّورة بـ "قراءة الصّورة الواحدة يتعدّد بتعدّد القراء"[2]كما يعرّف بالنّظر لنوعه "الغلاف الخارجيّ لأيّ عمل بمثابة الواجهة الأولى التّي تحمل في طيّاتها العديد من التّأويلات و الدّلالات، فهي محفزّ لاقتنائه أو تركه على رفوف المكتبة، لذلك أصبح للإشهار التّرويجيّ دوره في شهرة العمل الأدبيّ، فغلاف الكتاب إذن واجهة اشهارية وتقنية"[3] ،فالغلاف صورة من صور التّحفيز لذيع صيت العمل الأدبيّ و شهرة صاحبه، وذلك ما جعل الاهتمام بالغلاف في الآونة الأخيرة من أبرز الاهتمامات في الحركة الأدبية، من ناحية نوعية الورق، و تصميم الغلاف، و الإخراج الفنيّ .

[1] عبد الحق بلعابد :عتبات ،جيرار جينيت من النّص إلى المناص ، تقد:سعيد يقطين،منشورات الاختلاف ،ط1،2008م،ص46،47.

[2] مُحَمَّد بن يوب: آلية قراءة الصورة البصرية ، الملتقى الدولي التاسع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، دراسات وإبداعات الملتقى الدولي الثامن ،وزارة الثقافة مديرية الثّقافة ، ولاية برج بوعريريج، الجزائر،2006 ص ، 82.

[3] بشير عبد العالي: سيميائية الصّورة في رواية عبر سرير لأحلام مستغانمي، محاضرات الملتقى الوطنيّ الثّالث السّيمياء والنّص الأدبي،منشورات جامعة بسكرة ،الجزائر،2006 ص ،280.

والغلاف أيضا "هو أوّل ما نقف عليه، الشّئ الذي يلفت انتباهنا، إنّه العتبة الأولى من عتبات النّص تدخلنا إشاراته إلى اكتشاف علاقات النّص بغيره من النّصوص"[1].

وكما أولى النّقاد للعنوان اهتماما بالبحث، كذلك أولت الدّراسات اللّغوية و المعاصرة عناية بتصميم الغلاف، و ذلك قصد تحقيق تمركز بصري من شأنه أن يجسّد من خلال العنوان و اللّون و الصّورة و كذا من سيميائية اسم المؤلّف لما يحمله من حمولة فكريّة.

و إذا ما استنطقنا عتبة الغلاف بأيقونتها الغائية من أجل تمهيد الطريق لفهم متن النّص، فاختيار غلاف المجموعة قد يكون لمقصديّة ذاتيّة لتكون "فراشة بيضاء لربيع أسود"ينطق بها "عزّ الدّين ميهوبي"من خلال أبعاد الفراشة التّي حلّق بها الخطاب الغلافيّ الأماميّ و الخطاب الخلفيّ و غلاف المختارات يعكس عناوينها.

3- سيـــميـــــاء اللّــون

الشّاعر لسان عصره و ناطق مجتمعه، يترجم أحاسيسه و مشاعره، و ينقلها ليبعث فيها روحا بالحياة، و يلقيها للقارئ شعرا.

أضفى "عزّ الدّين ميهوبي"على مختاراته "فراشة بيضاء لربيع أسود "لوحة فنيّة زادتها رونقا و لمسة سحريّة من سحر تعبيراته، فكان مصوّرا لهذا الوجود، ناقلا لما فيه من وقائع و أحداث بمجرياتها و حيثياتها، فاختار صورة فنيّة معبّرة عن"الفراشة البيضاء لربيع أسود" لتكون اللّوحة و الألوان التّي استخدمها نصّا آخر موازيا للعنوان الرئيس، فكان التّركيز على ألوان بعينها، دلالة أخرى من دلالات الموضوع الهدف.

فما هي الألوان التي عمد إليها "عزّ الدين ميهوبي"في مختاراته ؟و ما دلالتها في الخطابين الغلافي الأمامي و الخلفي؟

[1] حسن محمّد حماد :تداخل النّصوص في الرواية العربية ،دراسات عربية، مطابع الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، د .ت، د .ط ،ص 148.

3-1- الخطـــاب الغـــــلافي الأمامي

صورة الغلاف الأمامي:

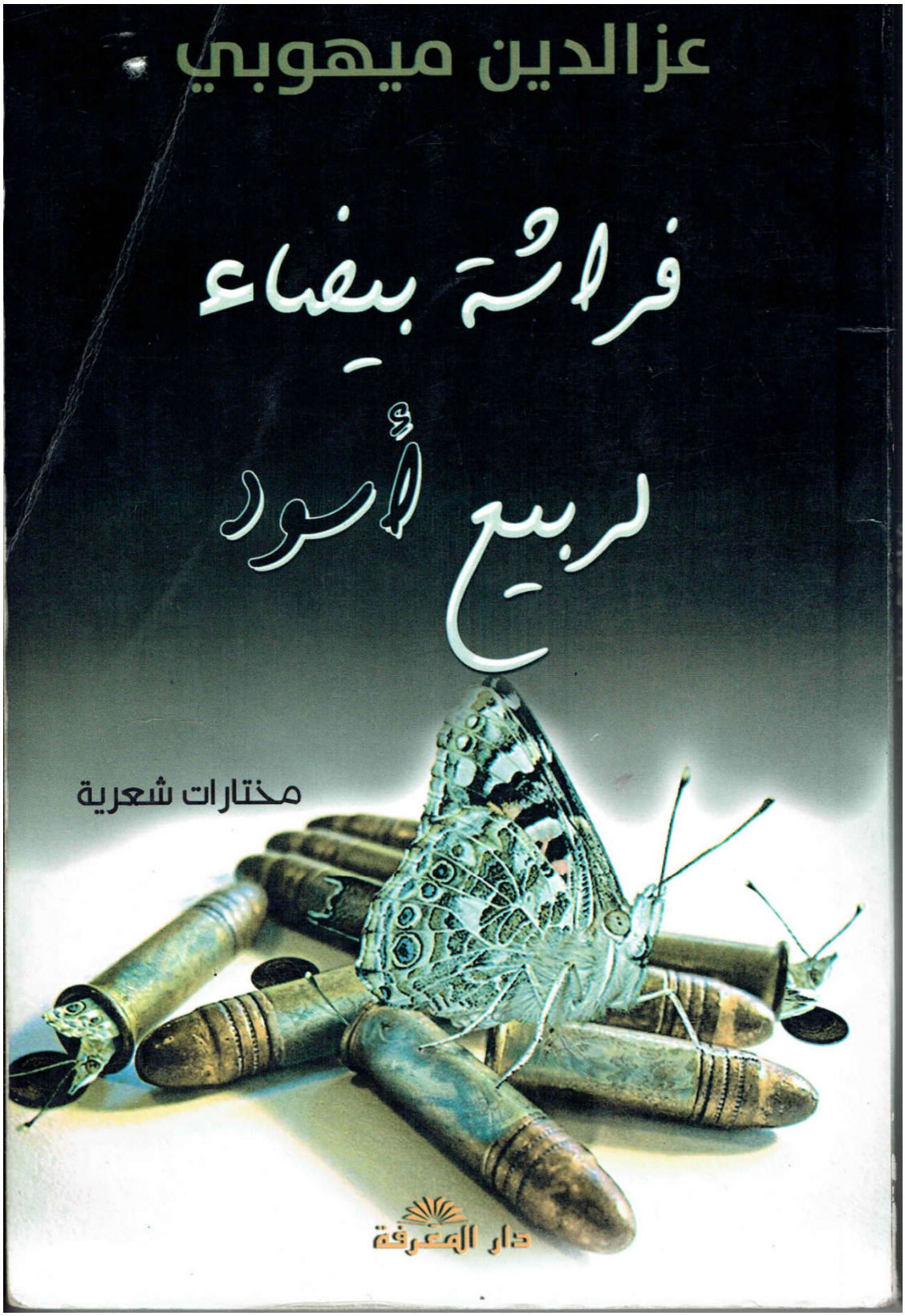

3-1-1 اللّـــــــــون الأســـود :

يطغى اللّون الأسود على غلاف المجموعة و هو رمز الحزن، فاللّون الأسود أكثر هيمنة على حياة البشر، و الأكثر تدخّلا في ضمائرهم منذ أقدم الأزمنة، فهو رمز للخوف و الحزن والمعاناة، و هو لون سلبي يدلّ على العدميّة و الفناء[1] ،كما أنّ الأسود رمز للباس الرّسمي و البروتوكولات الرسميّة،و هو لون السلبيّة و الحداد و المآتم، فهو السقوط النّهائي دون رجعة.

كما يعبّر اللّون الأسود من جهة أخرى على القوّة فهو لباس رجال الدّين، إذ يضع علماء الشّيعة على رؤوسهم عمامة سوداء اللّون[2] .

" و إذا كان الأسود صورة للموت، فهو لون الأرض و المقبرة و العبور اللّيلي للمتصوّفّ إلاّ أنّه يرتبط أيضا بالوعد بحياة متجدّدة كاللّيل الذّي يحتوي على وعد بالفجر"[3].

ليكون اللّون الأسود أيقونة عاكسة لصورة الواقع الذي يعيشه"عزّ الدّين ميهوبي"، فهو ليس بمنأى عمّا يحصل في العالم؛ و هو ينطلق من ذاته ليصل للآخر،رامزا بالأسود –الجزائر –إبّان الاحتلال الفرنسيّ، مرحلة أخرى من السّواد تعرفها البلاد فترة العشريّة السّوداء؛ لترتفع حصيلة الموت أكثر، فكان مسلسل يوميّ حلقاته: ترحيل و توديع جثامين للمقابر، عرائس و عرسان بأثوابهم البيضاء إلى سكنهم و مثواهم الأخير، بزغاريد الحياة لعشريّة كاملة،كان الموت عنوان سجّل تاريخ و حزن و مأتم قائم في كل لحظة، و المعاناة و الآلام سيّدة المقام في ذاك الزّمن و تلك العشريّة.

غابت العشريّة، و أشرقت شمس الحريّة من جديد على الوطن، و سرعان ما بدأت الجزائر تستعيد إشراقها، و تعيد بناء هياكل دولتها، ليعمّ السّواد و الحزن على بلاد العرب من جهة أخرى.

---

[1] ينظر: فاتن عبد الجبار جواد : اللون لعبة سيميائية ،بحث اجرائي في تشكيل المعنى الشعري ،دار مجدلاوي للنّشر و التّوزيع ،عمان ،الأردن،ط1،2009م،ص 44.

[2] ينظر: كلود عبيد،الألوان ،دورها ،تصنيفها مصادرها رمزيتها دلالتها، مرا محمّد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات ،ط1،2013م،ص66.

[3] ينظر: المرجع نفسه،ص 71.

أطلقوا عليه ربيعا وسموه بالرّبيع العربيّ، انطلاق شرارته كان من "تونس" بثورة الياسمين، من أجل التّغيير، لتكون الوجهة "مصر"، لتحلّ لعنة السّواد على "اليمن"، و "ليبيا"، و الآن "سوريا"، و قبلها فلسطين – المسجد الأقصى- و لزالت الأرواح تنتهك، و الدّماء تسفك ليعمّ الحزن و الموت.

كما قد يوحي اللّون الأسود بشخصيّة الشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي"فتكراره بين الفينة و الأخرى للّون، يعكس صورة تشاؤميّة لذات الشّاعر ينقلها و يترجمها على الواقع.

3-1-2 اللّـــــون الأبـيـــض:

رمز الطّهارة و النّور و الغبطة والفرح و النّصر، و السّلام كما أنه رمز الصّفاء و الهدوء و الأمل محبّ للخير والبساطة في الحياة و عدم التّقيد و التّكلف[1].

ليكون بذلك الأبيض رمزا للايجابيّة، على عكس السّلبيّة التّي يفرزها الأسود، وما بين الأسود و الأبيض علاقة جدليّة، فلولا الأبيض ما أدركت قيمة الأسود، و لولا الأسود ما أدركت قيمة الأبيض.

و اللّون الأبيض معاكس تماما للّون الأسود، فالأبيض لون العودة و الفجر، الأبيض بداية لون الموت، لون الاستسلام و الخضوع، هو ثوب العروس، كما أنه رمز للعدل وهو لون إخراج الحجيج في الإسلام، فالأبيض رمز الصّفاء و العفّة و النّظافة و الطّهارة و الوضوح[2].

و للأبيض قصّة تقع بين نقيضين، فان كان يحمل الصّفاء و البياض و الأمل، فكذلك الميّت حينما يغادر الحياة نهائيا يغادرها في كفن أبيض دلالة على طهارته.

و إذا ما عدنا إلى دلالة الأبيض في المجموعة الشّعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود" وجدنا الأبيض في الرّبع النهائي من الغلاف، فرغم السّواد الذّي مرّ به الشّاعر، و المحطّات التّي انتقل و حطّ بها فلم يلغ البياض من قاموسه ، خاطّا بأنامل قلمه شعرا ينبض بالحياة لعالم يكسوه الأمل و البياض

[1] ينظر: فاتن عبد الجبار جواد : اللون لعبة سيميائيّة ،ص43.

[2] ينظر: كلود عبيد ،الألوان ،ص،60،61.

المنشود، مستعملا أنامله في كتابة عنوان المجموعة "فراشة بيضاء لربيع أسود"ملوّنا بالأبيض ، يمكن أن نصفه بأمل الشّاعر في واقع مغاير.

لقد ركّز الشّاعر في مختاراته على ثنائيتان ضدّيتان هما :الأسود و الأبيض؛فلا وجود للأبيض دون الأسود، كما لا وجود للأسود دون الأبيض، و لا حياة دون موت، كما لا موت دون حياة، ففي الحياة موت، و في الموت حياة .

3-1-3 اللّـــــون الرّمـــادي:

هو"" لون يتوسّط الأبيض و الأسود مفتقرا إلى الحيويّة، و بقدر ما يصبح غامقا فانّه يتّجه نحو اليأس و يصبح لونا جامدا، هو لون الدّهاء، و لون التّحذير من العمر و الخوف "[1].

هو :"لون الضّباب،كما أنّه يرمز في المسيحيّة إلى يوم البعث، و يولّد اللّون الرّمادي شعورا بالحزن

و الانزعاج و الضجر"[2].

و قد جاء الرّمادي في المختارات "فراشة بيضاء لربيع أسود"في جزء تماهى فيه بعد اللّون الأسود مباشرة، حاول فيه الشّاعر التّدرّج من الأسود ليصل إلى لرّمادي، و في الغلاف يحيل على قلق و يأس بل إلى الانزعاج مما هي عليه الأوضاع، و لما ستؤول إليه، و كأنّه تحذير و قلق ممّا سيحصل في القريب، إنّه استشراف للمستقبل و خوف منه ليأتي بعدها مباشرة اللّون الأبيض المفعم بالحياة.

3-1-4 اللّـــــون الأخضـــــــر:

عادة ما يرمز اللّون الأخضر إلى "الحياة و التّجديد و الانبعاث الرّوحي و الرّبيع، كما يأتي دليلا في بعض الأحيان على الغيرة" [3]و اللّون الأخضر نجده حاضرا في أغلب أعلام الدّول العربيّة.

---

[1] فاتن عبد الجبار جواد : اللون لعبة سيميائية ،ص164.

[2] كلود عبيد ،الألوان ،ص116.

[3] فاتن عبد الجبار جواد : اللّون لعبة سيميائية ،ص 91.

أمّا اللّون الأخضر في غلاف المجموعة الشّعرية، فقد استدعاه الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي"في اسمه –اسم المؤلف– حين وضع أعلى المختارات الشّعرية ، وذلك غاية في التّنوع ما بين أبيض و أسود، طلبا للّون و الحرّية المنشودة بالاخضرار ومنفتحا على الحياة .

فالاخضرار:لون الرّبيع، و الرّبيع جعله الشّاعر مدلولا في العنوان "أبيض"، لترتدي الأرض بعدها معطفها ورداءها الأصلي من خلال ذات الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي"– الأخضر–حاملا في اسمه الأمل، فهو منقذ البشريّة من سوادها، فهو المنتظر و الحالم بقلمه و فكره.

و لو عدنا للثّقافة الصّينية لوجدنا الأخضر يعني الارتجاج و الاهتزاز الذّي تحدثه الطّبيعة في الربّيع[1] أمّا إذا عدنا لثقافة اليوم فنجد: الأخضر رمز للصّيادلة؛ فهو لون عودة الحياة لمجاريها.

و الأخضر رمز للخير و الإيمان، فهو شائع في قباب المساجد و أستار الكعبة[2]،بهذا يكون اللّون الأخضر في المجموعة الشّعريّة إحالة إلى الرّبيع الأسود، الذّي مسّ الدّول الإسلاميّة دون غيرها من الدّول، فساد السّواد و الحروب و الانتفاضات في الدّول العربيّة الإسلاميّة، إلّا أنّ ذات الشّاعر ترفع التّحدي في مقام كهذا بمقال الأمل و الاخضرار، فبصيص أمل يفقد فيه الألم فاعليته.

[1] كلود عبيد ،الألوان ،ص93.

[2] ينظر : المرجع نفسه،ص 96.

و قد جاءت الصّورة البصرية للغلاف الأمامي موضّحة كالتّالي:

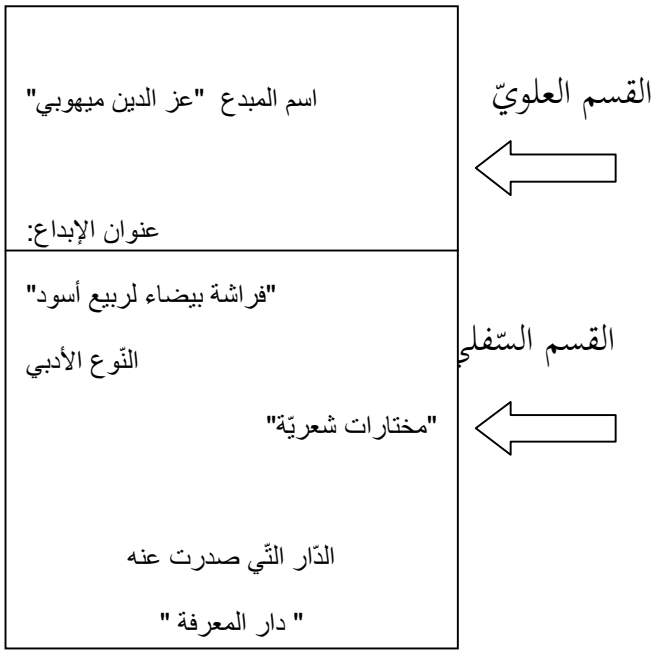

قسم علوي: و يحوي العناصر المهمّة:"اسم المبدع، عنوان الإبداع"، و قسم سفليّ دوّن عليه دار النّشر، و الجنس الأدبيّ.

ليكون جسد الغلاف الأماميّ صورة و محطّة هامّة من محطّات الإبداع الشّعري لـ"عزّ الدّين ميهوبي"، انتقى فيه بعناية و اهتمام بالغين صورة تعكس مدى عمق العنوان، ومدى استجابته للغة المختارات الشّعرية .

لننطلق في قراءة الصّورة التي اختارها الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي"واجهة لعنوانه، و أوّل ما نلمحه في الصّورة :

اســم المؤلّــف:

يعين على معرفة مبدع المدوّنة، كما أنّ اسم الكاتب يساعد في التّرويج للعمل، فجعل مصمّم الغلاف العنوان يتوسّط الغلاف، و كأنّه مكتوب بخطّ يده –فراشة بيضاء لربيع أسود– ليأتي اسم الشّاعر أعلى الغلاف –فوق العنوان مباشرة – و هو دليل على ذاتيّة الشّاعر"سيرة ذاتية"،

و تصدّر اسمه الغلاف باعتباره منتجا للنّص، فكان بذلك وجوده قبل وجود النّص"أسبقيّة الذّات على أسبقيّة الإنتاج".

ويبدو أنّ مصمّم الغلاف يوحي بدور الأسماء اللاّمعة و المشهورة على غرار "عزّ الدّين ميهوبي"في استقطاب جمهور المتلقّين، و حضوره المكثّف في السّاحة الثّقافية.

لتأتي العبارة التّجنيسية "مختارات شعرية"في بداية القسم السفلي على يسار الغلاف باللّون الأسود، في إشارة إلى أنّ الأدب العربيّ بكلّ أجناسه و منها الشّعر في خطر، بعد دخول أجناس أخرى أصبحت تنافسه، لتفقده مكانته الأصلية" الشّعر ديوان العرب".

إنّ اختيار الصّورة و موضعتها في القسم السّفلي من الغلاف، يعكس حال العرب الذّين انصاعوا لمكائد الغرب، فجلبوا لأنفسهم السّواد، قابعين الأماكن الدّنيا، فكان الرّصاص لغتهم، و طلقاته كفيلة بإيقاظ غفوتهم التّي طالت.

فكانت الصّورة عبارة عن "تسع رصاصات"،اثنتان منهما فقط مفتوحة الفوهة، يظهر بها جناح فراشة، في حين الثّانية أخرجت قرون استشعارها،لتقبع الفراشة الكبرى و هي فراشة متعدّدة الألوان شكلها يوحي بالسّعادة و الفرح، تنتقل بين رصاصتين مغلوقتين من جهة الفوهة، واضعا الصّورة على اللّون الأبيض فالفراشة بذلك ،ليست بيضاء إنّما الواقع الذّي ستزهره الفراشة هو السّلام و الصّفاء .

لتكون الرّصاصات بعددها إشارة للبلدان التّي مسّها ما أطلق عليه بالرّبيع العربيّ: تونس، مصر، ليبيا، اليمن، سوريا، السّودان، العراق، فلسطين، لبنان، و ما يعزّز الطّرح قوله في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[1]:

و تبدّلت الأسماء

ربيع ليس له عنوان

و فراشة صمتي

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص84.

تأخذ صوتي

تسألني هل أعجبك التّاريخ الطّالع من تونس

من سبأ..

من سبها..

من حاضرة النّعمان

من غزّة

من بادية الأنبار

و من أسوان

ربيع بألوان الطّائفية و الفرقة و الاختلاف، أين قُسّمت البلدان و فُككّت أجزاؤها، و انتهكت الحرمات، و سُفكت الدّماء ليعمّ الدّمار و الفساد و السّواد، الحزن قابع في بلدانها، كلّ رصاصة سقطت لكلّ دمعة أخفيت، و لكلّ عين سالت ففجّرت ينابيعها.

ربيع غُرس، زُرع، فحَصد رصاصات أُطلقت على أوطان، فكان الرّصاص فاتحة صباحها، و الموت عنوان عريض يتكرّر كلّ يوم.

رصاصتان أخرجتا فراشتين، فعِوَض الموت و الدّم فراشة تبدأ بالظّهور، إنّما هي بداية حرّية و استقلال و إيمان بأنّه "من رحم المعاناة تولد الهمّة"، و يبدأ الصّفاء بالظّهور، إحالة إلى تونس و مصر عن طريق الرّصاصتين.

و ما صورة الرّصاص، إلاّ ما يُسَوّقه الغرب عن العالم العربيّ من إرهاب يترصّد كلّ مناطقه، فغاب الأمن عنها.

أيضا الرّصاصتين إنّما صورة للشّعب و الحاكم و صورة المفارقة ، فالحاكم جناحاه بدآ بالظّهور، في حين الشّعب أخرج قرون استشعاره ليكون سيّد القرار، و هي مفارقة الحاكم و المحكوم، ليكون تنقّل الفراشة الكبرى من فراشة إلى أخرى بألوانها الزّاهية و قرون استشعارها إنّما هو انتقال ذات الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي"في غمرة الأحداث من بلد إلى بلد ،كانتقال الفراشة من زهرة إلى زهرة

زمن أصبحت فيه الحقول تدرّ رصاصات، لغة الرّصاص الفاصل في الوجود، و الموت سيّد القرار، يستشعر الأحداث يرتقب الجديد، مطلقا العنان غير آبه بتوجيه الأسلحة لشخصه و قلمه؛ زمن قمع الأقلام مؤمن بشئ واحد، مادمت حيّا سأحيا كما ينبغي،أنتقل أتحرّى أبعث الأمل "الفراشة /الحرّية"، لكن في الوقت ذاته خائف من الموت ليختار الموت في العلن، على الموت مختبئا داخل الرّصاصات، هو الخوف و الرّعب مما هو آت، و في الحقيقة الموت محدّق به ؛لأنّ الفراشة مبعث العيش القصير لا طول العمر.

مفارقة أخرى يبعث بها مصمّم الغلاف و الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي"نفسه في الصّورة: المعروف أنّ الرّصاصة بمجرّد اطلاقها لا تولّد إلّا الموت و النّهاية، في حين "عزّ الدّين ميهوبي"غاير و خرج عن القاعدة المألوفة المعهودة، فكانت رصاصته باعثة على حياة و أمل جديد؛ لتغيّر ما يجب تغييره في واقع موسوم بضبابيّة حقله، و عدم تبيّن صبحه من ليله.

قد ترمز الفراشة الكبرى و التّي تحمل نفس اللّون الذي كُتب به اسم المؤلّف، ما هي إلاّ الجزائر وهي ذات الشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي"الفراشة الناجية من خطر محدّق، إنّه تهديد الرّبيع العربيّ و لربما يكون تهديد "داعش"التّي أصبحت اليوم الخطرا المحدّق بكلّ العالم.

لتكون الرّصاصات التّسع ما هي إلاّ اغتيال لقوانين الشّعر على حساب العديد من الأجناس الأخرى، و ربّما هي أطوار القصيدة العربيّة التّي مرّت بها عبر العصور من الجاهليّ وصولا للمعاصر.

كما توحي الفراشة الكبرى المنتقلة من رحيق لآخر، بل من موت لموت آخر يحدّق إلاّ مقولة تتلخّص في "إن تكلّمت فأنت ميّت و إن لم تتكلّم فأنت ميّت إذن تكلّم ومت"و يبدو أنّها ذات الشّاعر، و ذاك ما يرسله من شفرات عبر الصّورة و الغلاف غير آبه بالرّصاصات، فحديثه و قلمه و شعره يتحدّى الوجود و طغيان الرّصاص، ليُعلن بأنّه حاضر و موجود في الوجود رغم كل ما يحيط به من سواد.

3-2 الخـــطاب الغـــلافي الخـــلفي

ما يلاحظ على الغلاف الخلفيّ للمجموعة الشّعرية"فراشة بيضاء لربيع أسود"، يحمل صورة الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي"رافعا عينيه للسّماء عاليا،متأمّلا الوجود، آملا في وجود آخر غير ما هو عليه .

الصّفحة الأخيرة من الغلاف يظهر طغيان الأسود عليها جليّا،حتّى نصف الصّفحة ليبدأ الرّمادي و الضّبابية تخيّمان، بعده يظهر خطّ أبيض و كأنّه وهج الصّبح، ليعود الغلاف لنقطة بدايته التّي انطلق منها مفجّرا اللّون الأسود .

و قد جاء مشفوعا بمقطع شعريّ من المجموعة يقول فيها صاحبها:"عزّ الدّين ميهوبي":

قال الرّاهب في خلوته :

الحكمة تخرج من طين الشّهوة .

و الكلمات رحيق الدّهشة ،

و الموت رحيل في النسيان

و أنت الظّل النازف في لغة العطر المسكوب

على وجع العيدان

اللّيل نهار اللّص

و الحبر رماد اللّص و الشّمس إذا انتحرت

هاته الأسطر الشّعرية جاءت مكتوبة باللّون الأبيض، و هي ما يُلخّص الجزء الأوّل من العنوان"فراشة بيضاء"، لتأتي بعدها الأسطر التّالية:

يتقطّر منها الضّوء...

و تنتفض الأكفان

المقبرة السّوداء ترتّل أدعية الأموات

أمريكا تبحث عن قاتلها المفتون بجنّته..

في كابل

في بغداد

و في بيروت

وفي طهران

الحرب دم يتوهّج في ملكوت الإثم

و يزهو في عرش الشّيطان

و قد كتبت الأسطر الأخيرة باللّون الأسود، و هي تختزل الجزء الثّاني من عنوان المجموعة "لربيع أسود".

انتقى الشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي"أسطرا شعريّة معبّرة ملخّصه لما جاء في المجموعة، فهو لم يلامس الحقيقة، و إنّما عرّاها من زيف اعتلاها، ليكشف عن ما عجزت بوحه الأفواه، فعرّج الشّاعر على قول الرّاهب ليعبّر عن أمريكا التّي تبحث عن قاتلها المفتون بجنّته في كابل، و بغداد،و بيروت، و طهران، معتبرا الحرب دم يتوهّج في ملكوت الإثم، و يزهو في عرش الشّيطان،معرّجا على دول لم تنعم بعد بالرّخاء سادها الرّبيع العربيّ[1].

مرفقا الغلاف بصورة لذاته "عزّ الدّين ميهوبي"، ليحسن التّأكيد على أن هذا المقطع يبرز عنوان المختارات "فراشة بيضاء لربيع أسود"فأمريكا الجنّة، و الفراشة التّي لن يطول تربّعها على عرش ومملكة البياض و السّلام الذّي تدّعيه، فكما نشرت السّواد و الحرب في بغداد و كابل و طهران، سيصيب السواد أمريكا أيضا، كما كان ذات ليلة من11 سبتمبر .

إذ بدأ الشّاعر بقول: بقول الرّاهب و نقطتان [:]و يختمه بانعدام كلّ علامات الوقف، و هو انعدام لكلّ القوانين .

لتكون الصّورة بذلك مدلولا مروّجا و موضّحا تمارس سلطتها الاغرائية، توضّح ما لم يفهم في العنوان المشكّل، فيكشف بذلك عن غاياته.

و الغلاف: الحلقة الذّهبية التّي وزّع بها "عزّ الدّين ميهوبي"خطابه لمتذوّقه، بدءا من الصّورة و الألوان، وصولا للغلاف الخلفيّ، فكلّ تنقّلات فراشته بين البساتين و الحقول، إنّما هو تنقّل ذاته التّي توزّعت بين تجربتين:تأمّل و تألّم، ليُعلن منذ البداية و الوهلة الأولى للمختارات تأويلاته التّي تختفي وراء المضمر و تحتاج لتفسير و تأويل.

[1] ينظر: سوزان العامري، مقاومة و ثورة رجال(أمسية الشّعر الثّالثة)،الشّارقة، الامارات، 24يناير2013.

لتتلخّص عتبة الموت في المجموعة الشّعريّة "فراشة بيضاء لربيع أسود"فيما استعمله "عزّ الدّين ميهوبي"ليمرّر أفكاره الشّعرية"فكان العنوان بمثابة الرّأس من الجسد، لتندرج ضمنه عناوين فرعيّة أخرى أرادها أن تكون مكمّلة للسّياق الذّي أراده في الأوّل، كما كان للّون حظّه ففرض وجوده ليكون ناطقا عن الدّيوان في غياب الشّاعر،فهو لعبة سيميائية، استمال بها الشّاعر القارئ من خلال صورة غلافه.

و خلاصة الفصل الأوّل ندرجه ضمن المخطّط التّالي:

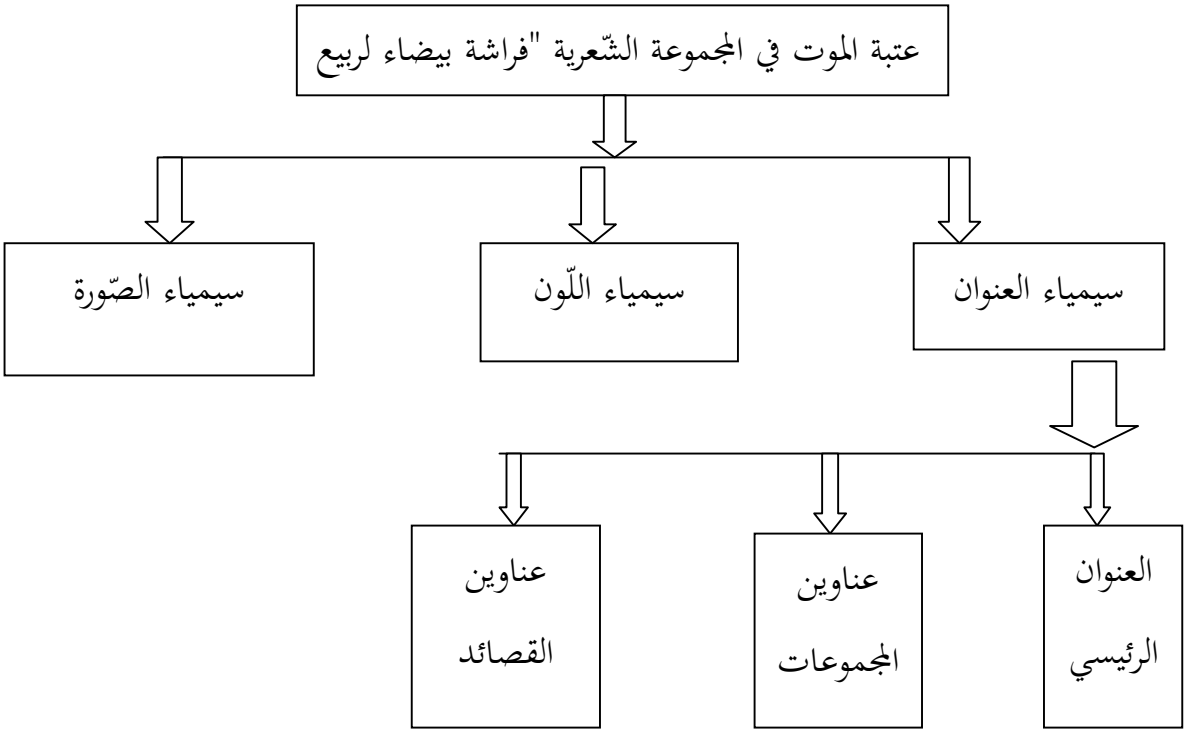

الفصل الثّاني:تمظهرات الموت في النّص الشّعريّ و انزياحاته لدى "عزّ الدّين ميهوبي"في "فراشة بيضاء لربيع أسود"

1- تيمة الموت بين الدّين و الفكر

1-1 الموت في الدّيانات السّماويّة

1-2 الموت في المعاجم اللّغوية

2- الحقول الدّلاليّة

2-1 حقل الموت

2-2 حقل الحيوان

2-3 حقل الطّبيعة

2-4 حقل الزّمن

2-5 حقل اللّون

2-6 حقل المدينة

2-7 حقل الشّخصيّات

2-8 حقل الدّيانات

3- انسلاخ الحياة من الموت

منذ خُلق الإنسان على الأرض و سؤال واحد شغله، و يحاول أن يجد له تفسيرا منطقيا، إذ استحوذت عليه حقيقة مفادها مادام هناك حياة فهناك موت، فالحياة و الموت ثنائيتان موجودتان فان كانت الحياة هي الدّنيا وما يعيشه الإنسان فيها، فما الموت؟ و ما الهاجس الذي يخافه؟ أ هو المجهول المنتظر؟، أم اللامنتظر ؟.

1- تيـــمة المـــوت بين الدّين و الفكر

الموت كليّة مطلقة و جميع البشر فانون و لهذا قيل أنّ الموت يتّبع مع الجميع سياسة ديمقراطيّة تقوم على المساواة المطلقة، فلا يعرف التّمييز بين عباقرة أو بين علماء و جُهّال، أو بين شبّان و شيوخ، أو أخيار و أشرار، فكل لا بدّ أن يموت هو نفسه و لا يمكن لأحد أن يموت نيابة عن الآخر أو بدلا منه[1] .

1-1 الموت في الدّيانات السّماويّة

يرتبط الموت في كثير من التّفسيرات الدينية بالحرية، و لا توجد الحرّية إلاّ بعيدا عن الموت، فما الموت في نظر الدّيانات السّماوية ؟ في نظر كلّ من: اليهوديّة" العهد القديم"، المسيحيّة" العهد الجديد"، الإسلام؟.

المـوت في الدّيـانة اليهـوديّة :

احتلّ الموت في أفكار العبرانيين القدامى مرتبة هامّة و قد جاء في الصّحاح:"و كثيرون من الرّاقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبديّة و هؤلاء إلى العار للازدراء الأبديّ"[2].

برهانا و دليلا على أن فكرة الخلود و البعث لم تكن فكرة غريبة بالنّسبة لليهود، و ما الموت إلاّ حدّ و فاصل لفريقين اثنين بين حياة أبديّة و بين عار أبديّ.

[1] ينظر: جاك شورون: الموت في الفكر الغربي ،تر كامل يوسف حسين، مرا إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة الكويت 1984م، ص 9.

[2] المرجع نفسه، ص ، 94.

فظهور الموت غدا الشّئ الوحيد الذّي يمكن أن يفعله الربّ للإنسان، هو إطالة حياته كمكافأة على طاعة شريعته، لكن لذلك حدوده التّي لا يمكن تجاوزها، فليس هناك مفرّ من الموت، و ليست هناك حياة أخرى[1].

و الإيمان بالحياة الأخرى لم يصبح عموما من المعتقدات الثّابتة في اليهودية، فهذا الموضوع ينتمي إلى المسائل الخفيّة التّي يحسن ألا يتّم التّفكير فيها.

المـــوت في الدّيـانة المسيحـيّة :

الدّيانة السّماويّة ممثّلة في العهد القديم – التّوراة – قد طرحت موضوع الموت، فما هو طرح الدّيانة السّماوية في العهد الجديد – الانجيل –؟

"يعلن العهد الجديد الانتصار للموت، لكونه أعظم الأعداء و أسوءهم، إلاّ أنّه قهر هذا العدوّ إذ تذهب الّنظرية المسيحيّة تكرّر ببعث الموتى في يوم الدّينونة، فتُفتح القبور و يقف القدّيس و الخاطئ أمام الربّ و يُحاكم،و ذلك هو بعث الجسم و ليس خلود النّفس،فخلود النّفس ليس من المسيحيّة و إنّما هو من أمور الوثنيّة "[2].

و يذهب اللاّهوتيون المسيحيون إلى تقديم معنى ثلاثيّا عن الموت، فهناك الموت الطّبيعي، و الموت الرّوحي، و الموت الصّوفي؛ فأمّا الأوّل "الموت الطّبيعيّ" فهو نهاية الحياة العضويّة، و الثّاني "الموت الرّوحي " فهو يعبّر عن وضع الإنسانيّة خارج الإيمان المسيحيّ، و المعنى الثّالث "الموت الصّوفي " فهو المشاركة في الحياة الإلاهية التّي تجري بالفعل خلال هذا الوجود الأرضي، على الرّغم من الموت الطّبيعي، إذ يعدّ الموت الصّوفي انتصارا على الموت العضويّ و ما البعث إلاّ مرحلة أخرى في هذا الموت الصّوفي الذّي هو في الوقت ذاته حياة خالدة [3].

[1] ينظر: جاك شورون: الموت في الفكر الغربي ،تر كامل يوسف حسين، مرا إمام عبد الفتاح إمام ، ص 95.

[2] المرجع نفسه : ص 99.

[3] ينظر: جاك شورون: الموت في الفكر الغربي ، ص 138.

و الموت في نظر الدّيانة المسيحية:"الموت مخيف بغير يسوع لكنّه في المسيح مقدّس و رقيق و هو فرحة المؤمن الحق"[1].

فمنظور الرّؤية المسيحيّة للموت؛ تساعد في التّغلب على الخوف .

المـــوت في الإســـــلام :

بين العهد القديم – اليهوديّة – و العهد الجديد – المسيحيّة – كيف طرح الإسلام"القرآن الكريم" قضية الموت؟.

رغم تطوّر البشريّة إلاّ أنّ الموت و الفناء موجودان، بل إنّ الأرض نفسها لتموت و تحيا، و الله وحده هو المحيي و المميت[2] : ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[3]

تموت الأرض و تحيا، كذلك تموت القرى و البلاد و تحيا ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ [4]و يذكر أيضا ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾[5].

كما تناول القرآن الكريم النّفس البشريّة و أنّ الموت واقع عليها، بل هو سنّة الله في الوجود فحتّى أنبياءه و رسله لا استثناء لهم في هذا القانون، فهذا نبيّ الله "إبراهيم ":﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي وَمَحْيايَ وَ مَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[6]،كذلك ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[7]

---

[1] جاك شورون: الموت في الفكر الغربي ، ص 101.

[2] مُحَمَّد عبد الرحمن الزيني: حقيقة الموت بين الفلسفة و الدّين، دار اليقين للنشر و التوزيع ،ط2 ،2011م، ص 40.

[3] سورة البقرة، الآية164.

[4] سورة البقرة، الآية .259

[5] سورة فاطر، الآية 9.

[6] سورة الأنعام، الآية 162.

[7] سورة مريم ،الآية33.

بهذا تكون الدّيانات السّماوية ابتداء من العهد القديم – اليهوديّة –وصولا إلى خاتم الدّيانات الإسلام، مرورا بالعهد الجديد– المسيحيّة- قد تناولت فكرة الموت.

1-2 المـوت في المعـاجم اللّغوية

إذا كان الموت قد ورد ذكره في الدّيانات السّماوية، فقد ورد أيضا لفظ "الموت" في المعاجم اللّغوية و من بينها :"لسان العرب" على سبيل الذّكر لا الحصر فجاء فيه :"الموت خلق من خلق الله تعالى الموت و الموتان ضدّ الحياة، و الموت السّكون وكلّ ما سكن ، فقد مات"[1].

و قضيّة الموت لم تبق أسيرة الدّيانات السّماوية و المعاجم اللّغوية فحسب، بل تجاوزت هاته الحلقة إلى حلقة الفكر و الأدب، و بصورة أدقّ الشّعر الجزائريّ ؛ و ذلك بفعل التّحولات التّي طرأت على خارطة الوضع العام للبلاد، وبذلك انعكست على الذّائقة الشّعريّة للشّعراء .

ومن الشّعراء الذّين تأثّروا بهذا الوضع :"عزّ الدّين ميهوبي" فنقل إحساسه و ترجمه شعرا في مجموعته الشّعرية: "**فراشة بيضاء لربيع أسود**" .

يتشظّى الموت في المجموعة الشّعرية للشاعر"عزّ الدّين ميهوبي"بدءا من العنوان، مرورا بالغلاف و الصّورة، و اللّون، وصولا لحدود مضمون تجليّات الموت في المجموعة الشّعرية، التّي أبى إلاّ أن يسمها و يُسقط عليها عنوان "فراشة بيضاء لربيع أسود"،إذ كان لها الأثر، فكانت السّمة الغالبة، و الإشارة السّابح في فضاءاتها "الموت".

2- الحقول الدّلاليـة

هاجس الموت يؤرّق الشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي"، فارتحل بين عوالمه مارّا بين حلقات حقوله الدّلاليّة متجوّلا في أنحائه، فلم يترك بابا من أبوابه إلاّ طرقه؛ فكان لحقل الموت حصّة الأسد بمفرداته، و كذا الطّبيعة، الكون، الزّمن، الحيوان، اللّون..

[1] ابن منظور:لسان العرب، ج6، [مادّة موت]، ص 109.

فالشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي" يبدو أن فراشته البيضاء غدت ملوّنة بسواد الحياة، و نظرته التّشاؤمية هي ما يبعث ذلك خاصّة في قصائد مجموعاته الفرعيّة من المجموعة الأمّ،فما بين السّطر و الآخر هناك موت من كلّ نوع، حتّى و إن لم يتلفّظ الشّاعر بالموت علانيّة، فانّ أسطره تكشف ذلك بكتابتها باللّون الأسود، هو موت حتّى للقلم وجفاف لحبر لم يعد صالحا في زمن أصبح فيه تكميم الأفواه عنوانا عريضا، و الموت سيّدا .

فما هي الألفاظ و المدلولات التّي خاض غمارها و اعتمدها "عزّ الدّين ميهوبي"لتكون المحور الأساسي الدّال، و البؤرة الرّئيسية للمجموعة ؟ بل ما هي الحقول الدّلالية التّي أثبت موتها في "فراشة بيضاء لربيع أسود"؟.

ما يلفت الانتباه وجود حقول عدّة صال و جال فيها الشّاعر، فأقام لها إحداثيات مختلفة في حديثه عن الموت.

2-1حقـــــل المـــــوت

أعلن "عزّ الدّين ميهوبي"الموت في مجموعته الشّعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود"فغدا حقل الموت سيّدا بلا منازع في كلّ قصائده.

فكرة الموت تسيطر على الإنسان و على عقله ووجدانه، مما يجعل قلق الذّات قلقا على الحياة ذاتها من هذه الظلماء التّي تذكر بوجود الموت"[1]

فتيمة الموت تتمثّل أساسا في الشّعور المتأزّم الذّي جعل الشّاعر يتّسم بالحزن و السّوداوية ، ليتّجه نحو رسم معالم التّجربة بكلّ معطياتها[2].

[1] ينظر:حنان أحمد خليل الجمل، الموت في الشّعر العبّاسيّ332هـ/450هـ ،إشراف ابراهيم الخواجا (مذكّرة ماجيستير)،قسم اللّغة العربيّة، كليّة الدّراسات العليا،جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين،2003م، ص63.

[2] ينظر: حياة هروال، دلائليّة الموت في الخطاب الشّعري الجزائريّ المعاصر فترة التّحوّلات 2000/1988، إشراف جميلة قيسمون،(مذكّرة ماجيستير)،قسم اللّغة العربية و آدابها، كليّة الآداب و اللّغات، جامعة منتوري، قسنطينة،2008م، ص 35.

يقول في"**قصيدة حديث البحر**"[1]من مجموعة"**النّخلة و المجداف**"مستهلاّ إيّاها بكلمات من جنس"لفظة الموت":

لن أبحر في عينيك .

و أجعل هذا البحر مرايا صامتة **كالحزن**.

و أعكس أيّام **القحط** المشدودة كاللّغة الموؤودة .

تحت مواجع هذا القرن.

إذ يرفض الإبحار في عينيّ محبوبته؛ فالبحر باتّساعه، و عمقه هو مرايا صامتة كالحزن، فاتّساعه لا يعبّر عن فرح بقدر ما يعبّر عمقه عن حزن، فهو مرايا صامتة ذلك لأنّ امتداده يخفي آلاما و يجرف أرواحا بريئة إلى عمقه، فكان الموت حتفهم إنّها النّهاية و بداية الحزن، لتعكس أيّام العسر و أيّام السّواد، فهي بذلك كاللّغة التّي أعلن أهلها موتها فأقاموا لها مأتما و عويلا، منازعة من أجل البقاء، لذلك وصفها "عزّ الدّين ميهوبي"باللّغة الموؤودة، فعيناها مصدر الحزن و هو يرفض الابحار في بحره، فاستعمل **القحط و الحزن** دلالة على **حقل الموت** .

كما يعلن "عزّ الدّين ميهوبي"الحزن مجدّدا في قصيدته "**حديث البحر**"[2] فيقول:

فتّشت عواصم هذا الكون .

لأقرأ كفّي..

كانت مفعمة بالحزن

و أشياء بلون الخوف القادم من أزمنة

ترفض أزمنة كانت

طاف، صال و جال كلّ المعمورة، و عواصم الكون، لم يترك عاصمة إلاّ ليقرأ الكفّ، و يطّلع على حظّه، و يعرف ما يخبّئ له المستقبل،لتكون كفّه جالبة الحزن، هو كفّ خوف يلتفّ على

[1]عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص7.

[2]المصدر نفسه،ص .11

مستقبله، ليصوّره في شكل صراع زمنيّ يعيشه؛بين حاضر لقراءة الكفّ، و ماض تذكّر نتيجته، و مستقبل ممثّل في معرفة ما يخبّئ له القدر .

يواصل "عزّ الدّين ميهوبي"رحلة التّفتيش عن شاهد العصر **فيقول في "قصيدة حديث البحر"**[1]:

مازلت أفتّش

عن قارئة للكفّ

لأرسم خاتمة للعمر

فالشّاعر على العهد باق، يبحث عن قارئة للكفّ، إذ لم يشف غليله كفّ الحزن و الخوف، ها هو يفتّش و يبحث لرسم خاتمة العمر؛ قراءة للمستقبل، فاستعمل – خاتمة- و هي النّهاية الأبديّة لعمر الإنسان.

كما ذهب للقول في "قصيدة حديث البحر"[2]:

صلّيت لهذا العصر ...

صلاة العصر..

يا شاهد موت الشّاعر يوما

أين أسير الآن..

و هذي الأرض محاصرة ببحار النفط

و رائحة الأحلام

المنسيّة في الأحلام

فالأحلام غدت منسيّة محاصرة ببحار نفط، و ما النّفط إلا حياة لشعوب و أمم عديدة، فهي الوقود و العملة الذّهبية التّي يُعتمد عليها لإحياء أمم، إلاّ أنّ "عزّ الدّين ميهوبي"في موقفه هذا

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص15

[2] المصدر نفسه، ص16

يناجي شاهد العصر من جديد، في إشارة إلى النّهاية و الفناء يوما ما، فالأرض محاصرة إلاّ أنّ النّفط نقمة عليه لأنّه ممزوج برائحة أحلام منسيّة، انّه صورة عالم تسيطر فيه المادّيات "النّفط"على المعنويات، هو عالم الثّنائيات و المفارقات بين نفط و أحلام؛ بين واقع و خيال.

يقول في "قصيدة حديث البحر"[1]:

يا شاهد موت الصّبر..

تُرى هل أكمل فاتحتي..

ينادي شاهد الموت، إنّه موت الصبر، حتّى الصّبر أُزيح عن الطّريق و انتهى أمره، بل صار لا يُطيق صبرا، ليتساءل هل يكمل الفاتحة أم ماذا؟وهي سبع آيات من سورة الفاتحة .

يقول في "قصيدة حديث الخيمة"[2]:

العمر **سيفنى** بعد دقيقة صمت..

يا رمل **الموت** يداهمني..

سأموت و لم تغتسل الأعضاء..

سأغمض هذا الجفن ..

و أفتح نافذة **للقبر**

حقل الموت لازال يعلن حضوره في دفتر و يوميّات"عزّ الدّين ميهوبي"، من خلال مدلولات إغماض الجفن، القبر، فكأنّه يجعل من القبر بصيص أمل و نافذة عبور لحياة أخرى ، وذلك من خلال مزجه لمدلولات حقل الموت المختلفة.

يقول "عزّ الدّين ميهوبي"في قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[3]:

قال الرّاهب في خلوته:

الحكمة تخرج من طين الشّهوة

[1]عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص28.

[2]المصدر نفسه ، ص 39

[3]المصدر نفسه، ص75.

و الكلمات رحيق الدّهشة

و الموت رحيل النّسيان

انتقى في أسطره الشّعرية لفظة الموت في حدّ ذاتها، و لم يستعمل غيرها لتكون بذلك حقلا دلاليّا دالّا على أنّ الموت سيطال أيضا الحرف و الكلمة؛ فمادام هناك أناس بخوفهم و كلماتهم ينسجون إبداعا، فرحيله سيُولّد رحيلا للحرف و الكلمة أيضا، لتحفظه ذاكرة النّسيان أيضا.

حقل الموت مازال يعلن وجوده في قاموس الشّاعر الشّعريّ، مواصلا في **"فراشة بيضاء لربيع أسود"** فيقول:

الرّاهب يحترف **الارهاب**

ما أبشع تلفازا يتقيّأ كل مساء أخبار **الموت**

و عساكرهم في الشّرفة يفترشون الأوسمة **المحشوّة**

لا شئ يفيدك حين **تموت**

و ليست تنفعك الأنساب.

الموت لغة يتكلّمها الجميع: رهبان، عسكر، قنوات اعلام..الخ، و الإرهاب حرفة احترفها حتّى رجال الدّين "الرّاهب"، و الموت مسلسل يعلن حلقاته؛كلّ يوم حدث و حلقة جديدة، و الحدث البارز القتلى في كلّ مكان، و الحقيقة التّي لا يمكن التّهرب منها حين يأتي أجل الموت، فلن يفيد الإنسان شيئا حتّى نسبه الذّي يختفي ورائه- و ليست تنفعك الأنساب- مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْت وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوج مُشَيَّدَة﴾[1].

جاء في "قصيدة حديث النّخلة"[2]:

و لكن توضّأت بالحزن منذ الولادة ..

[1] سورة النّساء: الآية 78.

[2] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص44.

أيقنت أن الولادة حزن

و حزن الولادة نبع القصيدة

يتكرّر مدلول الحزن في أسطر الشّاعر، ليؤكّد أنّ الولادة حزن، و العالم حزين، و خير دليل على ذلك القصيدة لا تتأتّى من الحياة، و الأمل، بل من الألم و التّعاسة .

يقول في"قصيدة حديث النّخلة"[1]:

يا قبر هذا الذّي يقف الآن قربك..

يبحث عنك..

عاد الشّاعر بنا إلى الجاهليّة و الوقوف على الأطلال، و أطلاله "القبر"،ليكون كلّ شئ مستباح، هو زمن القبور و الموت، وبذلك يمكن القول أنّ هذا العصر أطلاله القبور.

ما يزال "عزّ الدّين ميهوبي"يبعث في أسطر قصائده مدلولات و ملفوظات الموت، وما يندرج تحتها من: قبر،رصاص، و هو تحليق ذات الشّاعر في سماء الموت.

إذ يقول في"قصيدة قراءة أولى للكفّ"[2]:

من يقرأ كفّك يا هذا..

لن يعرف غير الموت

و خاتمة الأهوال

الشّاعر يطرق باب قاموس الموت، و لن يعرف غير الموت عنوانا، فهو ملاذه، ليستحضره و يرصد تبعاته و نتائجه، وخاتمة الأهوال دلالة على عِظم الحالة التّي يعيشها الشّاعر، فالكفّ لا تحطّ إلاّ قراءة واحدة حتّى و إن اختلف القرّاء و هي الموت.

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[3]:

ما أخجل وجه الثّورة

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص 47.

[2] المصدر نفسه، ص61 .

[3] المصدر نفسه، ص 88.

حين نرقّع أوجهنا..

و نقول :هرمنا*..

ما أصغر عمر الثّورة

حين تصير الفكرة مسبحة و آذان

فالثّورة الجالبة للسّواد من جهة، و للسّلام من جهة أخرى يخجل منها حين تغيير وجهتنا و خارطة الطّريق التّي سرنا عليها لتكون الأسباب و الذّرائع محصورة بصغر حجم الثّورة ،حينما يكون الحديث عن الإسلام و المسلمين- مسبحة و آذان-أو الدّين بصفة عامة حينها فقط يصبح الموت باسم الدّين أو الدّين إرهاب، فالدّين محصور في مفهوم ضيّق، إذ لا يتّسع إلاّ للمسبحة و الآذان.

ربط الشّاعر تأويلات و تفسيرات الآخر الغربي للشّعوب الرافعة شعارات الثّورة في وجه حكّامها فهل يمكن اعتباره تسويق الغرب للدّين الإسلاميّ؟ وما ينشره من إرهاب في العالم قاطبة؟-تشويه للدّين الإسلاميّ-.

يعلن "عزّ الدّين ميهوبي"ضعف و شيخوخة الشّعوب في قوله:و نقول هرمنا ...، في إشارة إلى من خرج في ثورة 14 يناير 2011م التّي أطاحت بحكم "بن علي"، الذّي دام 23 سنة من القمع و السّخط، مطلقا العنان متحدّيا قرار منع التّجوال صارخا بصوت عال "لقد هرمنا"من أجل هذه اللّحظة التّاريخيّة.

صِغر الكلمة "هرمنا"كان مدلولها أقوى، و اتّساعها أشمل ليكسر جدار الخوف، و ينطلق غير آبه إلاّ بالخلاص، فبعدما كان المفهوم منحصرا في خوف الشّعب من الحاكم و رضائه بالظّلم و الاهانة هاهي المفاهيم تتغيّر، ليصبح الحاكم يخاف من هبّة الشّعب و ثوراته، فيعمد إلى الإصلاح قبل فوات الأوان، مثلما حدث في تونس و مصر.

* "أحمد الحفناوي"صاحب مقولة"لقد هرمنا" رمز الثّورة التونسيّة ، بل كلّ الثّورات العربيّة التّي حصلت و تحصل من أجل اسقاط الأنظمة الدّيكتاتورية العميلة ، و يمكن القول أنّ"أحمد الحفناوي" جاء في وقت ليثبت عن جدارة قول: إذا الشّعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر.

يقول في "قصيدة اللّعنة و الغفران"[1]:

مرّ يوم..

مرّ بي نعش

سألت الناس "من"

قالوا "فلان..

وجدوا جثّته في آخر الشّارع

مرّ شهر..

مرّ بي نعش

سألت النّاس "من؟"

قالوا "فلانة..

خرجت تسأل عن علبة كبريت

فعادت في خزانة.."

استحضر الشّاعر هنا مدلولا من مدلولات الموت "النّعش"، و عاد للتّاريخ العالميّ، ليستحضر قصّة "بائعة الكبريت"*، و كيف كانت نهايتها المأساويّة بعد أن مرّ بها النّعش في شهر، و عام إلاّ أنّ نهايتها كانت خزانة، و الخزانة موت و إغلاق حتّى لأسئلتها و تغييبها من الحياة،كما هو تكرار و تأكيد على موت الزّمن أيضا : مرّ يوم، مرّ شهر.

يقول في "قصيدة بكائية بختي"[1]:

وامنحيني

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص110.

* قصّة قصيرة أبدع فيها الشّاعر و الأديب الدّنماركي"هانس كريستيان أندرسن"،تحكي معاناة فتاة ماتت، بنما كانت تعاني قسوة البرد و الجوع ، لاقت القصّة إعجابا من جميع فئات النّاس ، بعد أن تمّ إصدارها عام 1845م، و قد اقتبست عنها أفلام و رسوم متحرّكة و موسيقى تلفزيونيّة.

وطنا أو مشنقة

دلالات كبيرة يرمز و يومئ بها الشّاعر. يمكن أن نقرأ فيها الكثير من المعاني، فهو يخيّر بين عالمين: عالم الوطن الذّي يحتضن الإنسان ليكون وسط الدّفء و الرّعاية في ظلّ قانون، و عالم الموت ممثّلا في المشنقة، التّي ليست سوى بداية لنهاية الإنسان المأساويّة ممثّلة في سلب حياته. و باختصار يمكن القول أنّ الشّاعر واقع بين خيارين:خيار الوطن و بالتّالي الحياة، أو خيار المشنقة و بالتّالي الموت، و هنا عرض لمفرقة الحياة و الموت.

يقول في "قصيدة بكائية بختي"[1]:

يرمون كلامي بالحجارة

ويقولون كذا ..أشعل ناره ..

فلمن يترك من بعد صغاره؟

و هنا يرمي الشّاعر برسائله المشفّرة للآخر، فحالما يتحدّث يكون حديثه بين حقلين: إمّا محاصرا بأسلحتهم الفتاّكة، و إماّ تبدأ النّيران تلاحقه، و بين هذا و ذاك يكون سؤالهم: لمن تترك بعد نهايتك صغارك؟، و هذا إعلان صريح من قبل "عزّ الدّين ميهوبي"لما كان عليه، وما هو عليه واقع صاحب الكلمة، و شاعر الكلمة، أو مناضل القلم و الصّحافة نهايته دوما الموت لكن الطّريقة تختلف.

يقول في"قصيدة بكائية بختي"[2]:

وطني منفاي

لا أملك دفنا

و حكايات صغار

و بقايا فرح من الدّيار

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص 112.

[2] المصدر نفسه، ص113.

أصبح الوطن منفى لمواطنيه بعد أن كان حاضنا لهم ، لا حياة و لا دفء فيه،ينعدم فيه كلّ شئ عنوان واحد فقط حكايات للحزن، و الفرح لا وجود له، فهو مغيّب تغييبا نهائيّا.

يقول في "قصيدة غوايات أريك في رام الله"[1]:

لا ألمح غير **النّعش** اليوميّ

و لا ألمح غير **الدّبابات**

مسلسل يوميّ لحياة الشّاعر، إلاّ أنّ حلقاته متشابهة، عنوانه النّعش لحمل جثث الأموات من جهة و من جهة أخرى دبّابة تُنهي و تقصف كلّ حياة على الأرض، لتُنهيها و تُرديها قتلى و شهداء في كلّ شبر.

يقول في"قصيدة غوايات أريك في رام الله"[2]:

لا تترك عربيّا

يكبر في وطن الميعاد

أقتل..

فالقتل هو الميلاد

هي رسالة يبعث بها"عزّ الدين ميهوبي" إلى الآخر، في كيفية رؤيته للعربيّ الذّي لن يكبر في أرض الميعاد؛ لأنّ القتل حليفه فأنتج بذلك حقلا دلاليّا عميقا هو حقل الموت وما انجرّ عليه من مفردات، كما طرق باب حقل المكان في أرض الميعاد.

فأرض الميعاد – فلسطين- حلم كلّ عربيّ أن يسودها السّلام، و أن تعود الحياة لربوعها، إلاّ أنّ الكيان الصّهيونيّ يُلقي بعواصف الموت عليها، و مصير كلّ عربيّ فلسطينيّ على أرض الميعاد يهدّد الكيان الإسرائيلي قتل و إنهاء لسلالة العرب.

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص174.

[2] المصدر نفسه ،ص180.

يقول في"قصيدة الباب"[1]:

الفانوس الذّابل

قطرة ضوء في الظّلمة

الباب الخشبيّ يخبئ أصواتا ..

و بقايا كاليغولا

الصّمت يفتّش عن كلمة

ا

الـ

الصّـ

الصّمـ

الصّمت

الباب يخبئ نعشا

النّعش الموت

ارتجاج و اهتزاز اللّغة لدى الشّاعر "عزّ الدّين ميهوبي"من خلال الصمت، إنّما هو اهتزاز الثّقة بالحياة لفوانيس ذابلة و لظلمة في الأجواء، طبعا بحضور "كاليغولا" الزّمان، فكلّما أتى زمان إلاّ و أتى معه ديكتاتور، يبعث بالنّعوش هي نعوش الموت ليس إلاّ.

يقول في "قصيدة الدّفتر"[2]:

أفاق على قطرة **دم**

وعلى **جثّة** نسيت اسمها

أفاق على ورقة

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص269.

[2] .المصدر نفسه ، ص277.

رسم الطّفل في صدرها **مشنقة**

يموتون كلّ **صباح**.

و كلّ **مساء** تعود المخازي

يموتون..

و الطّفل يسأل عن دفتر الرّسم ..

صار سجلاّ لتدوين كلّ **التّعازي**

دفتر هُيئ، و براءة تحلم بريشة رسم، تُبدع أناملها بما تحلم ،لكن ما إن تعود للحقيقة و الواقع المرّ لا تجد إلاّ شئ واحد يخيّم على نفوسهم الدّم، و المشنقة، و الموت، و الجثث ما يملأ المكان، ليكون بذلك الدّفتر عوض ألوان، و رسومات طفل تحمل أحلامه و آماله، ها هو يصير سجلاّ لتدوين كلّ التّعازي، فبدل أن يرسم الأطفال دنيا جميلة بزهورها و خضرتها، صاروا يصوّرون المشانق و الدّم، فغلبت على ريشة ألوانهم ألوان الموت، فكان الموت و الملفوظات القريبة منها ما استعمل في هذه الأسطر من طرف الشّاعر.

يقول في"قصيدة الغيمة"[1]:

و السّؤال يموت إذا لم يجد شفة للجواب

و المرايا إذا انكسرت

يختفي ضوءها في الغياب

وحديث المساءات

تأخذه الرّيح حينما تنام الشفاه

و المدينة تُغلق أبوابها

في وجوه البرابرة القادمين

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص197.

لذبح الصّوامع.. باسم الإله

أسئلة عدّة يطرحها بني الإنسان، و لا يجد لها أجوبة شافية كافية، باسم الدّين يفتون، ليكون الدّين بذلك ذريعة للذّبح و القتل، لتوصد المدينة مداخلها و مخارجها في وجه صيّادي الدّين .

ورد في "قصيدة غوايات أريك في رام الله"[1]يقول:

أريك يُفتّش عن حرب أخرى..

و ليرحل كلّ العرّافين

إلى لغة أخرى ..

لا أملك يا عراف الحي ورودا..

خذ هذي الخوذة..

أو إن شئت فخذ قبرا

سالومي* سيّدة الأحزان

لن ترقص بعد الآن

حقل الموت لازال يعلن سلطته، معلنا تربّعه على حقول أخرى، فالحرب و الرّحيل و انعدام الأمل لعدم وجود الورود، لتكون الخوذة، و القبر، و الأحزان من صنع حقل الموت بالسّواد، و الظّلام المنتشر، و الكآبة، و اليأس المحدّقين بكلّ من "سالومي"و "أريك"فالغاية هي:الموت .

فـ"أريك"رمز للحكم و للعرش، و كلّ الحروب في العالم سببها أطماع الحكم و السّلطة، و النّتيجة النّهائية لوجود أريك، يتصارع من أجله الكثير،ليحيل إلى الموت فيما بعد.

2-2 حقـــــــل الحيـــوان

[1]عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص 182.

* إحدى الشّخصيات المذكورة في العهد الجديد، واحدة من أتباع يسوع المسيح ، و جاء ذكرها في كلّ الأناجيل"متّى ،لوقا ، مرقس،يوحنا"،والدة اثنين من تلاميذ المسيح هما: يوحنا و يعقوب بن زبدي، وواحدة ممن شهدن عملية الصّلب.

ألبس الشّاعر الحيوان ثوب الموت، فمارس القتل و الذّبح بسمّه، فأُعلن الموت كطرف ثان لمعادلة الحياة بعد الإنسان. فما هي الحيوانات التّي ذكرها "عزّ الدّين ميهوبي"، و استحوذت على هذا الحقل؟.

يقول في"قصيدة حديث البحر"[1]:

يا شاهد موتي الأوّل...

طال البحث..

و صرت بلا عنوان

لم ألق سوى قدمين

خطى خرساء لهذا الجسد

المرميّ بعيدا

تأكل منه الطّير

و تسكنه الدّيدان

حين رأيت دمي المهدور

خالف "عزّ الدّين ميهوبي"القاعدة المألوفة بمناجاته للموت قائلا:يا شاهد موتي الأوّل، في إحالة لوجود موت ثان، و ثالث، و رابع..موت تدريجيّ، أعلنه عبر الطّير بعدما كان رمز للحريّة و الحياة،في إشارة إلى قصّة سيّدنا "يوسف عليه السّلام"في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص24.

مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] ،و الطّير إحالة إلى الصّلب و هو الموت، لذلك ختم أسطره بـ"حين رأيت دمي المهدور".

يقول في "قصيدة حديث النّخلة"[2]:

لا صوت يُسمع

إلاّ العويل

تنصّلتُ من شفتّي لأقرأ آية ذكر

و أطرد هذه الخفافيش عنّي..

أصوات بمثابة عويل الجنائز، هو عويل أبواق الخفافيش، و ما الخفافيش إلاّ رمزا أراده الشّاعر لتمويه القارئ، لناقلي الأخبار الذّين لا يظهرون في كلّ وقت، و حالهم شبيه إلى حدّ بعيد بالخفافيش التي تظهر في اللّيل، هي أقلام النّميمة-الجرائد الصّفراء-فاستخدم الخفافيش كرمز لأبواق الظّلام و لمن تهرّب من النّور، ليكون اللّيل باعثا لسموم شيطانيّة، فمن هي خفافيش العصر التّي قصدها الشّاعر ؟ ومن هم محبّي الظّلام و السّواد النّافرين من البياض؟ فهل هي الصّحافة يا ترى؟ أم السّياسيون ؟أم المنافقون الذّين يظهرون النّور و السّلام، و في باطنهم سواد؟ و كما قيل:"يقابلك بوجه أبي بكر و قلب أبو لهب".

يقول في قصيدة"بكائية بختي"[3]:

للمدى فاتحة من أقحوان

و أباريق من الفضّة تتنرانح على صدري كأفعى..

[1]سورة يوسف: الآية 36.

[2]عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص51.

[3]المصدر نفسه ، ص111.

و شفاهي أفعوان

خروج الأفعى أمام كلّ من الأقحوان و الفضّة، ما هو إلاّ إعلان لموت مرقّع، و جلاّد مُقنّع، كقناع و ألوان الأفعى الملوّنة لفاتحة تُتلى من شفاه جعلها الشّاعر أفعوان، إحالة إلى أقوال دون أفعال، مستخدما رصاصات فضّية تحرق صدره.

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[1]:

ربّما أخطأت حينما اخترت للأرض طيورا

و فراشات..

و ظلّ الزّيزفون

اغتيال وذبح آخر لفصيلة أخرى – طيور،فراشات- كلّ شئ مستباح، فبعد الإنسان ها هو الحيوان يُذبح أيضا، فهذه الفراشة و هو اغتيال للحريّة و الحياة، بل اغتيال للمواطنة و الهويّة، أمّا عن **الطّيور** فحتّى أسرابها التّي تُزيّن السّماء أصبح الرّماد عنوانها، و الرّصاص حليفها، فلن تزقزق، و لن تنعم الحياة بهديل حمامها، لأنّ الأرض ما عادت مأمنا لهم .

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[2]:

....و تبدّلت الأسماء

ربيع ليس له عنوان

و فراشة صمتي

تأخذ صوتي

[1] عزّ الدّين ميهوبي: فراشة بيضاء لربيع أسود، ص94.

[2] المصدر نفسه، ص 84.

تسألني هل أعجبك التّاريخ الطّالع من تونس..

من كلام مسكوت عنه، من وضع أصبح الصّمت فيه أفضل حلّ من الكلام، ليُوظّف **فراشة** دون غيرها –فراشة صامتة– لجزائر تحرس حدودها بعناية خوفا من ربيع يهدّد منطقتها، فراشة صامتة تُنمّ عن السّياسة الخارجيّة للدولة الجزائريّة،كلّ مسؤول عن حدوده، و لا أحد يتدخّل في شؤون سياسة الآخر هي فراشة الوئام المدنيّ، و ما بين صمت الفراشة ، و هو صمت الجزائر، يمكن أن نتساءل: هل أعجبك الموت في تونس؟.

يقول في "قصيدة غوايات أريك في رام الله"[1]:

و غراب يبحث عن أشلاء صبيّ

معصوب الجبهة

كانت دهسته الجّرافات

في الشّارع

عرّاف يقرأ كفّ أريك اليمنى

يرسم أفعى*

صبيّ دهسته الجّرافات، ليغدو جثّة في الشّوارع تبحث عنها الحيوانات، فانتقى الشّاعر الغراب و الأفعى كباحثين عن الأشلاء، و قد استعمل "عزّ الدّين ميهوبي" الغراب دون غيره، لما له من دلالة في لونه الأسود؛رمز للحزن، و الكآبة، و لون التّشاؤم فهي إذن إشارة لونيّة غير مباشرة، أمّا الأفعى فهي ملوّنة لكنّها تُدرّ سُمّا .

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص174.

* سمّ الأفاعي كافية لإحداث أضرار شديدة للضحيّة أو حتّى التّسبب بالموت للإنسان.

يقول في"**كاليغولا يرسم غرنيكا الرّايس**"[1]:

من ثقب الباب

يطلّ غراب

عنقاء الموت* تحطّ على شجر اللّيمون

من ثقب مهّد لحديثه الشّعري، ليستدرج مَن خلفه، لتكون المفاجأة: الغراب و عنقاء الموت من يطلّ، و هو ترصُّد الموت خلف الأبواب، فالوضع آنذاك كان القاتل يحمل سلاحه، ويكسر الأبواب ليُردي من يَودُّ قتيلا، فكان الغراب رمزا للتّشاؤم و الموت، كما أن عنقاء الموت آيلة للزوال و النّهاية أيضا.

و الملاحظ أنّ الحيوانات التّي جاءت على لسانه في مجموعته تدور في نطاق:طيور "غراب بسواده، و الخفافيش مصّاصة الدّماء، و العنقاء بالرّماد".

2-3 حقـــل الطّبـــيعة

الطّبيعة أو الكون بكلّ الظواهر الموجودة فيه، رمز من رموز الوجود، فما هي العناصر التّي أعلنت موتها؟، أو بالأحرى ما هي دوال حقل الطبّيعة التّي خاض غمارها"عزّ الدّين ميهوبي" في مجموعته "فراشة بيضاء لربيع أسود"؟

تفنّن في وجهته، فنهج مذهبا، و بعث وسائله في مكامن النّفس البشريّة، لتبقى الطّبيعة في صفائها و تناسق ألوانها مادة خصبة لعمليّة الابداع الفنيّ، و ما ينشأ عنه من بدائع صنع الله تتجاوب معها قرائح الشّعراء المبدعين منهم "عز الدين ميهوبي"في "فراشته البيضاء لربيع أسود"[2].

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود،ص267.

* طائر خياليّ ذكرت في مغامرات السّندباد و قصص ألف ليلة و ليلة ، و يمتاز هذا الطّائر بالجمال و القوة و عندما يموت يحترق و يصبح رمادا و يخرج من الرّماد طائر عنقاء جديد.

[2] ينظر:ابن حُويلي الأخضر ميدني، الفيض الفنّي في سيميائية الألوان عند نزار قبّاني دراسة سيميائية لغوية في قصائد من الأعمال الشّعرية الكاملة، مجلّة جامعة دمشق، ج 21، ع4/3، ص 111.

يقول في "قصيدة حديث النّخلة"[1]:

قبرك الآن يا من تحدّث قبرك

مثل المواسم..

تنبت أشجار حزن..

و أشجار ملح..

و قافلة للرّياح

أصبح القبر في نظر الشّاعر ينبت أشجار حزن وملح و رياح، فالشّجر في حقيقة الأمر مبعث للحياة، لتنتقل من ايجابية الحياة إلى سلبيّة الموت، و الرّياح في حقيقة الأمر هي رياح القبور.

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[2]:

كم يوما عشت..

أجبت:

اليوم الأوّل طفل من حنّاء

اليوم الثّاني حجر م طين العمر

اليوم الثّالث تأتي الدّهشة و النّسيان و تغتسل

الأشياء

اليوم الرّابع أقرأ إنجيل الغربة في وطني..

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص 47.

[2] المصدر نفسه ، ص 78.

اليوم الخامس أخرج للشّارع وحدي..

اليوم السّادس تطلع من لغتي الأسماء

اليوم السّابع ينتفض الموسم كان ربيعا أسود..

يستنطق الشّاعر في مجموعته الشّعريّة "فراشة بيضاء لربيع أسود"أيّام الأسبوع السّبعة، و ما الأيّام الأسبوع السّبعة، إلاّ سنوات لعمر الإنسان، من فترة الولادة وصولا إلى موته، مرورا بفترات: الطّفولة، المراهقة و الشّباب و الكهولة و الشّيخوخة، و كأنّ كلّ يوم هو عقد من الزّمن، و كلّ يوم يقابله عشر سنوات ممثّلا للعقد، ليلخّص عمر الإنسان في سبعين سنة.

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[1]:

قال البيت الأبيض كان هنا برجان*

من ليس معي ضدّي..

صومعة تسأل صاروخا يعبر سحنتها..

قالت مقبرة في البحر ينام هنا ..

طلعت شمس سوداء و فراشات تبحث عن بستان

يعود الشّاعر للماضي و يقارنه بما هو عليه الآن، فالبرجان اختفيا من البيت الأبيض في وهلة من الزّمن، قضت عليها هجمات و أحداث 11 سبتمبر2001م، لتُحدّث المقبرة عمّن ينام البحر في إحالة إلى"بن لادن"الذّي قيل بأنّه قُتل و رُمي في البحر، فهو المتّهم الأوّل عن تنظيم القاعدة و زعيمها، ليسود الموت العالم، و تتحوّل ذهبية الشّمس لسواد قاتم يملأ المكان، هو موت الضّحايا

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص 80.

* أحداث 11 /2001/9مجموعة من الهجمات التّي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكيّة، خلّفت 2973 ضحيّة و 24 مفقودا، و عقب الأحداث مباشرة أعلنت أمريكا الحرب على الإرهاب في أفغانستان و سقوط نظام حكم طالبان و الحرب على العراق و إسقاط نظام صدّام حسين.

الأبرياء، لوحة فنّية رسمها عزّ الدّين ميهوبي"بلغته الشّعريّة، منتقلا من أمريكا السّلام إلى هجمات الموت عبر مقبرة البحر لـ"بن لادن"، اتّخذ فيها العالم منعرجا آخر في السّياسة المنتهجة.

يقول في"قصيدة بكائية بختي"[1]:

أستحي أن ألمح الورد يموت

و أغنّي ..

أستحي منّي..

و من عمري يفوت

أستحي منّي

ومن غدي أموت

عمر يفوت و ينقضي، ليصبح كلّ شئ عُكس، فبعدما كان الاستحياء من الآخرين صفة من صفات الإنسان اختلّ النّظام، الشّاعر من نفسه استحى، لماذا؟ خوفا من الغد المعادل للموت، لذلك يعلن عن موت للورد في الحاضر لينتقل للغد، فهو إذن زمن قتل و إعدام لزهرة الأمل.

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[2]:

وطني المعقود بالجنّة..يُذبح

ربّما أخطأت حين اخترت للشّمس مدارا في

عيوني

عنوان عريض لمناشير ذبح لعناصر الطّبيعة و اغتيال للشّمس، لوطن أُعلن ذبحه.

يقول في "قصيدة رماد"[3]:

تختفي الغيمة حين الشّمس تأتي

يختفي طير الكناري

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص114.

[2] المصدر نفسه، ص94.

[3] المصدر نفسه، ص 235.

تختفي البسمة حين الحزن يأتي

مثلما عشب البراري

يختفي العشّاق في ضوء القمر

عندما يخرج ليلي

من الطّبيعة استرسل حديثه، و أشعر بكلماتها فانطلق عبر غيومها، و سحابها في إشارة لرماديّة اللّون و لشمسها و توهّجها، كما استحضر ضوء القمر، و عناصر الطّبيعة المذكورة سالفا في أسطره إنّما تختفي، و تذهب، و اختفاءها إنّما يرمز لحياة سوداويّة لا وحدة تجمع بين عناصرها، فقط الفرقة و الحزن ما يكتنفه، فاستبدلت الحياة بالموت.

يقول في "قصيدة اللّيل"[1]:

من ثقب الباب يجئ اللّيل..

و تطلع شوكة صبّار سوداء بحجم

القبر المنسيّ بعيدا

وظّف الطّبيعة في: شوكة صبّار سوداء، و هو نبات شوكيّ، يعكس الظّروف الصّحراوية من عطش، و جفاف فشوكة الصّبار شبيهة في نظر الشّاعر بالقبر المنسيّ البعيد، الذّي يلتفّ من حوله الأعشاب حتّى يكاد يختفي، فعيشه في الصّحراء هو موت.

2-4حقـــــــل الـــــزّمـــن

ما هي مظاهر الزّمن التّي أعلنها "عزّ الدّين ميهوبي"عبر أ سطر مختاراته الشّعرية، و فيما انحصرت ؟

يقول في "قصيدة حديث البحر"[2]:

يا أزمنة تنبض بالموت

وعري الأيّام

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص267.

[2] المصدر نفسه، ص 24.

يا أزمنة تجترّ بقايا أسطورة

هذا العالم..

من قرن الثّور

و شكل الأرض ..

ها هو "عزّ الدّين ميهوبي"مجدّدا أسير الموت مناديا الأزمنة النّابضة، فالأصل في النّبض يعكس حياة، لكن ما يلبث إلاّ و يستخدم مفارقة الفجاءة -تنبض بالموت-و هو بهذا إنّما خالف ما يتوقّعه المرء و المتلقّي في الموقف الذّي يمرّ به، فيفاجأ تماما لما في ذهنه، فما كان من الأزمنة إلاّ الاجترار و الموت كان حليفها .

يقول في "قصيدة حديث النّخلة"[1]:

يبحث عنك...

قبيل الصّباح

لعلّك تسقي الورود التّي تتنامى

مدائن عشق تداعت

أفق..

قبل أن يعصف اليوم بالوردة المستباحة

في الزّمن المستباح

عمليّات البحث و التّفتيش عن ورد مستباح في زمن الشّؤم، فاستبيح الزّمن قبيل الصّبح، فتوغّل الشّاعر بلغة شعريّة للموت، ليؤكّد عليه في أكثر من مرّة، دالاّ على ذلك بمفردة"مستباح".

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[2]:

ربّما أخطأني الموت سنه

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص 47.

[2] المصدر نفسه، ص93.

ربّما أجّلني الموت شهر أو ليوم..

و بقايا أحرف تورق في صمت الدّم المرّ حكايا

محزنه

ربّما أخطأني الموت فطارت من شفاهي لعنة

البوم..

يشكّك"عزّ الدّين ميهوبي"في انحراف الموت مرّة، و مرّة أخرى تأجيله عبر كبسولة الزّمن من شهر لسنة متأوّها بقافيته، ليكون دليله الدّم المرّ عبارة عن حكايا محزنة يتداولها، و يقصّها، مواصلا شكّه بالموت الذّي قصده، و يمكن القول أنّ الشّاعر يعيش مع الموت لكن لا يلتقيه عبر أزقّة الأيّام و الشّهور، و السّنين، فهل هي لعنة البوم المحدّقة، و الملاحقة له، فكان حقل الموت عن طريق حقل الزّمن .

يقول في "قصيدة غوايات أريك في رام الله"[1]:

يا ليلي

أحببتك قبل الحرب..

و بعد الحرب.

لم أسمع شيئا آخر غير الموت

و حكمة أجدادي في الدّرب

أقتل ما شئت ...

فانّك مولود من أجل الحرب

قريحة الشّاعر الشّعرية ترسل مدلولات الموت، ليستهلّها بنداء اللّيل و إعلان حبّه له، قبل الحرب و بعد الحرب، فيا ترى حبّه للّيل إنّما لسواده، و ظلمته، أم لسكونه و صمته، فالسّواد خيّم على نفسيّته و الوجع أنهك عزيمته، ليختم سطره بعدها بنقاط الصّمت[...] بأنّ غاية وجوده

[1] عزّ الدّين ميهوبي: فراشة بيضاء لربيع أسود، ص 180.

في هذا الوجود إنّما للحرب، و الحرب موت، ليصبح لقبه بن دفّتين: شاعر حب ليلي"قبل الحرب"، و شاعر حرب و موت "بعد الحرب".

يقول في"قصيدة غوايات أريك في رام الله"[1]:

أمّي كانت ترضعني قصص التوراة

و تزرع في شفتي الأحقاد

القتل هو الميلاد.

يا ليلي..

اللّيل طويل

و أنا مازلت أفتّش عني مفجوعا بحجارة موت

يحملها الأولاد

من تعاليم الأسرة الدّينية انطلق"التّوراة"، فزُرعَت الأحقاد، فكان القتل الهدف، لينادي بعدها اللّيل و ما يحمله من خبايا و أسرار، يسود الصّمت لوهلة من الزّمن، لتكون إجابته عن زمن اللّيل و ما يستغرقه من طول، و رحلة البحث عن حجارة الموت متواصلة، فكان شغله الموت، و هاجسه الزّمن – اللّيل- و ما يحمله من سواد و كآبة، متوغّلا عبر حقيقة الدّين "التّوراة"، و ما يعلّمه اليهود لأبنائهم من عداوة للمسلمين، ووجوب قتلهم موضّحا ذلك في قوله:" القتل هو الميلاد" و كأنّه الحليب الذّي يرضعونه أثناء الولادة، و أحلّوا القتل محلّه.

يقول في "قصيدة كاليغولا يرسم غرنيكا الرّايس"[2]:

اللّيل يجئ وحيدا

من نافذة الخوف المخبوء

و هذا اللّيل فجيعة

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص 181.

[2] المصدر نفسه، ص267.

من ثقب الباب

يطلّ غراب

عنقاء الموت تحطّ على شجر اللّيمون.

الصّمت جنون

فتنكسر الأجفان

لا غالب إلاّ الموت

لا شئ سوى الغفران.

و صمت اللّيل فجيعة

فترة زمنيّة بين غروب الشمس و شروقها، أراد"عزّ الدّين ميهوبي"من خلال الصّمت، كرمز لإطالة اللّيل في إحالة للظّلام، و السّواد الذّي يسود المنطقة.

و الدّلالة السّميائية لغروب الشّمس بألوانها الذّهبيّة، يُحيل إلى اللّيل و الظّلام الذّي يمثّل اللّون الأسود، كما يشكّل اللّون بؤرة مهمّة من العنوان للون الأسود مشيرا إليها بقصيدة "اللّيل"[1].

فاللّيل كزمن يمثّل لكثير من الشّعراء رمزا للمعاناة و الشّقاء؛ لأنّه يثير أشجانهم و أحزانهم فيفصحون بألسنتهم عمّا يجول، و يختلج نفوسهم من الهموم، و يصرّحون عن مشاعرهم بكلّ حرّية، و يطلقون العنان لخيالاتهم لإبداع الصّور الشّعرية المتعدّدة[2].

2-5 حقـــل اللّــون

ألوان رسمها "عزّ الدّين ميهوبي"في مجموعته"،و أراد أن تعبّر عن الواقع السّائد، كما أنّها تعبّر عن جزء من أجزاء حياته الشّخصية، و ما انعكس عليه من آثار سلبيّة، فاستحضرها بكلماته في أسطره.

[1] ينظر: شادية شقروش،الأسود لون السّيادة و السّلطة و الجرأة و الدّهاء، سيمياء اللون في رياح و أجراس للخليوي ،جريدة الحياة ،2008/9/9م، ع 16594،ص 26، http://daharchives.alhayat.com/issue يوم 2016/12/12 على22:00.

[2] ينظر: حنان أحمد خليل الجمل، الموت في الشّعر العبّاسيّ، ص 53.

و للألوان دلالات عامّة، ذات بعد جمالي مستمدّ من القيمة الفنّية لتلك الألوان في فنّ الرّسم، فما هي الإسقاطات التّي استمدّها "عزّ الدّين ميهوبي"لدلالة الألوان من روح العصر، لتقدّم فيه وسيلة من وسائل التّعبير؟[1]

يقول في" قصيدة رماد"[2]:

و أنا شمسي تغنّي في السّواد.

مريم أمّي

و لا أملك قلبا مثلكم

ليتني بعض الرّماد

استهلّ أسطره بشمس تغنّي في السّواد، و المعروف عن الشّمس ترقص بألوانها الذّهبيّة، هي مفارقة اللّون لدى "عزّ الدّين ميهوبي".

فكان السّواد أو الأسود في الحقيقة إنّما ينمّ عن الموت و الحزن، كما يتربّع على عرش الألوان في الموضة، و ضمّن أسطره تلونيّة الحياة و ضبابيتها، عبر تمنّيه الرّماد قائلا:"ليتني بعض الرّماد".

هو لون لا يمكن التّغافل عنه في المجموعة الشعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود"، ما جعل اللّون يحمل سرّا عميقا رفعه إلى مصاف الرّمز، فجعل من المجموعة لوحات فنّية تحمل هموم الفرد و المجتمع.

فاللّون الأسود سيميائيّا يحمل دلالتين[3]:

الدّلالة الأولى:تحيل للصّمت المرتبط بسكون اللّيل و الموت الأبديّ و القلق و الحزن و هو لون يستدعي إلى الذّهن صورا من جنائز كما يوحي بمشهد القبور، و ينذر الإنسان بمصيره الفاجع.

---

[1] ينظر:أحمد عبد الله محمّد عبدان، دلالات الألوان في شعر نزار قبّاني، اشراف يحي جبر، خليل عودة،(مذكّرة ماجيستير)، قسم اللّغة العربيّة و آدابها، كليّة الدّراسات العليا،جامعة النّجاح الوطنيّة ،نابلس، فلسطين،2008، ص187.

[2] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص235.

[3] ينظر شادية شقروش،الأسود لون السّيادة و السّلطة و الجرأة و الدّهاء ، ص26.

الدّلالة الثانية:لون السّيادة و الجرأة و يستدعي صورا تكشف عن قداسته، فهذا كساء الكعبة الشّريفة و الحجر الأسود.

فكان الأسود بذلك في المجموعة الشّعرية في علاقة تنافريّة مع النّور، و هو ظلام يحيط بالعالم، بل إنّ التّوغّل في الأسود توغّل في كلّ ظلام وموت يحيط بالشّاعر، انطلاقا من أسرته، وصولا للعالم الذّي هو جزء منه، مرورا بمجتمعه فهو ابن بيئته.

كما توغّل الشّاعر في إبراز الألوان و سماتها، من خلال تخصيص ألوان بعينها في أسطره فعلى غرار "الأسود" نجد "الرّمادي"إذ يقول في "**رماد**"[1]:

و لا أملك قلبا مثلكم

ليتني بعض الرّماد.

و الرّمادي يعرف بالرّصاصي، و هو متفاوت بين البياض و السواد ؛فهو ليس لونا بحدّ ذاته، و إنّما يجمع لونين، و يرمز اللّون الرّمادي للاكتئاب، و الحزن، و الوحدة، كما يدلّ على عدم الوضوح فهو لا أبيض و لا أسود.

و يؤدّي حقل اللّون دورا هامّا في عمل الإبداع الأدبيّ، و اهتمام "عزّ الدّين ميهوبي" بتراكيبه و تنوّعاته و تشكّلاته، جعله يبحث طويلا في موت اللّون[2]

و استخدام"عزّ الدّين ميهوبي"للألوان في مجموعته "فراشة بيضاء لربيع أسود"هو ربط بين الأرض و لونها و الجسم و أجزائه، في إشارة واضحة إلى عدم انفكاك الإنسان و ما حوله عن عالم الألوان.[3]

بذلك "عزّ الدّين ميهوبي" قد أفرد ألوانا عدّة، طغى عليها الأسود و الرّماديّ في مجموعاته.

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي: فراشة بيضاء لربيع أسود، ص235.

[2] ينظر:عامر رضا،سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي، الواحات للبحوث و الدّراسات ،جامعة ميلة،ج7 ،2014م، ع2،ص 99.

[3] ينظر:خالد بن صالح مُحَمَّد الجديع، سيمياء اللّون في الشّعر السّعوديّ العربيّ، مجلة عالم الكتب، دار ثقيف للنّشر و التّوزيع ،كليّة اللّغة العربيّة ،جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرّياض،ج 29، 2008م،ع6/5،ص 441.

6-2 حقـــــل المدينـــــــة

تعدّ المدينة من المظاهر البارزة في الشّعر العربيّ المعاصر، فقد تجلّت مثلا ظاهرة المدينة، و الرّيف في شعر"بدر شاكر السّياب"، و الشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي"استحضر المدينة، كرمز لشعوره بالكآبة، و الحزن جرّاء ما يحدث في أغلب البلدان .

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[1]:

المقبرة السّوداء تُرتّل أدعية الأموات

و أمريكا تبحث عن قاتلها المفتون بجنّته

في كابل ..

في بغداد

و في بيروت

و في طهران

الحرب دم يتوهّج في ملكوت الإثم

ها هي عواصم تحضر باسم الموت و الحزن، مشكوك في أمرها من قبل أمريكا لتكون كلّ من "كابل"،"بغداد"،"بيروت"،"طهران"عواصم مصدّرة للإرهاب و الموت و الحزن و السّواد لأمريكا فاتنة العالم؛ فهي إذن عواصم الموت بالنّسبة لأمريكا.

يقول في"قصيدة غوايات أريك في رام الله"[2]

يكتب شيئا أشبه بالتّوراة

يأتي الأطفال..

فيختبئ العرّاف وراء الخوذة ..

تعبر ريح من نابلس شوارعنا المنسيّة

[1] عزّ الدّين ميهوبي: فراشة بيضاء لربيع أسود ،ص 76.

[2] المصدر نفسه ، ص174.

تحمل أوراق العرّاف إليّ

و مقبرة من غزّة يحرسها الأموات

استعمل "عزّ الدّين ميهوبي" في سارده الشّعري حكاية التّوراة، أو بالأحرى قصّة أصحاب التّوراة في المدن الفلسطينيّة، فخصّ نابلس و غزّة المحاصرتين بالخوذة، و قبور مزروعة في كلّ مكان، للقضاء على العرق الفلسطينيّ العربيّ، مواصلا سرد حكايته بمقابر غزّة التّي تملأها الأموات، و هم حرّاسها، دلالة على أنّ موت الفلسطينيّ حياة للبقيّة-مقبرة من غزّة يحرسها الأموات- مفارقة عجيبة رسمها "عزّ الدّين ميهوبي"بأسطره الشّعريّة ، أموات غزّة حرّاس و حماة لأحيائها.

يقول في"قصيدة غوايات أريك في رام الله"[1]:

لكنّ الحزن يحاصرني

هل تعرف شكل الحزن ؟

فلسطينيّ الشّكل يقول النّاس..

و يخرج من قمر السّاحات

مرّت سبعون و لم تتعب

الاستثناء يصنعه الحزن في فلسطين الجريحة –يقول النّاس- و يضع في نهاية قوله[...]إذ تتعطّل دلالة القول، و ينحبس الصّوت، ليجد القارئ نفسه مجبرا على فكّ مغالق الصمت، و يخرج الإنسان الفلسطينيّ العربيّ من قمر السّاحات ابرازا لوجود، فهو صمت من خطر محدّق به في شارع السّاحات.

يقول في" قصيدة غوايات أريك في رام الله":[2]

و أفتح ألبوم الذّكرى...

لا شئ سوى الخوذات...

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص175.

[2] المصدر نفسه، ص178.

و دبّابات في سيناء..

فَتْح دفتر الذّكريات كفيل باسترجاع الآلام و الأحزان، فيكون المرجع موت محدّق تصنعه و تُصدّره سيناء، هو عودة للتّاريخ العربيّ و لما تحمله سيناء من موت في ذاكرة الانسان.

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[1]:

تسألني هل أعجبك التّاريخ الطّالع من تونس

من سبأ..من سبها..

من حاضرة النّعمان.

من غزّة..

من بادية الأنبار

و من أسوان

لا شئ يعادل تاريخا يطلع من جسد

يتعطّر بالنّيران.

الطّفل الغاضب في قرطاج.

يجئ و يحمل للأموات بشارته

الشّمعة مطفأة..

يبكي و يقول غدا يطلع من جسدي شيئان

الجيفة و الغربان

هم كان لهم برجان

و أنا في القلب أخبّئ حزني

أمّي الثّورة آتية و أبي الطّوفان

[1] عزّ الدّين ميهوبي: فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص84.

يرتحل "عزّ الدّين ميهوبي"عبر مدن وعواصم عربيّة، ليأخذ صوته جاعلا الموت عنوانا، منطلقا من تونس في سؤال عن ثورة الياسمين؟من سبأ، و سبها، و حاضرة النّعمان، من غزّة، من بادية الأنبار، و من أسوان، و قرطاج، مدن تصدّر النّيران فقط، و رائحة الأموات و جثثهم مهرجان يوميّ، و الجيفة و الغربان زوّارها، و ضيوفها كلّ ليلة حزن و موت، ليكون الأب و الأم ممثّلان بعهد الثّورة و الطّوفان.

لتكون المدن المذكروة في الأسطر الشّعرية خير دليل على الموت؛ فهي مدن و عواصم انطلاق شرارة الرّبيع العربيّ: تونس، سبأ"اليمن"،سبها"ليبيا"، أسوان"مصر"، حاضرة النّعمان"العراق" غزّة"فلسطين"..الخ

2-7 حقــل الشّخصيـات

شخصيّات استحضرها، و كان لها وقعها و أثرها في التّاريخ الاسلاميّ العربيّ و العالمي، نقلها و صبغها صبغة أخرى، ليبرز شعريّتها من خلال أسطره، و استحضار الرموز الدّينيّة العربيّة و العالمية إلاّ إضفاء لبعد جمالي و فنّي.

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[1]:

يوسف يسأل ذئبا في البريّة:أين قميصي؟

قال الذّئب: قميصك يلبسه عثمان

و دمي أهدره يوسف في الميدان

شخصيّة دينيّة تجلّت في مجموعة"عزّ الدّين ميهوبي"، و كان لها وقعها و انعكاسها في حدث الموت و الحزن و الألم، فهذا "يوسف"في إشارة لقصّة "سيّدنا يوسف عليه السّلام"، كما استحضر شخصيّة عثمان في إشارة "لسيّدنا عثمان بن عفّان" ،و دلالة الذّئب هي: الحسد و الغيرة، و هي من طباع الإنسان.

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص77.

يقول في "قصيدة روما "[1]:

سأشرب قهوة روما

يسمّونها"كابوتشينو"

و أقرأ كلّ الوجوه التّي

ليتها عرفت أنّني شاعر عربيّ الملامح

في ضوء عينيه يصحو ملاك

هنا حنبّعل يتابع أخبار بورصة قرطاج

يسأل عن طقس روما

و يبصق حين يرى قلعة لم تنلها يداه

و في الرّكن نيرون ينفث دخّان سيجاره

هو يخفي عن النّاس فعلته

يحاوره صحفيّ بليد

فيحسبه من نجوم الكوميديا

الشّاعر في حواريّة ذاتية يقرّ و يعترف بمهامه كونه رسول الشّعر، و الكلمة الحقّة الطاهرة النّقية – في ضوء عينيه يصحو ملاك– فهو ليس كـ"نيرون"الإمبراطور الرّوماني الخائن، الذّي أحرق شعبه و ليس كـ"حنّبعل" الغازّي ،إنّما هو الحياة في وجود كلّ من مثّلا التّاريخ و الحضارة الرّومانية التّي لا تزول فكتبت حضارتها في كل بلد، و وضعت رجلها فيه بحجارتها الصّامدة لحدّ السّاعة.

يقول في"قصيدة قمر الكلام"[2]:

و كلام ليس يعنيه المكان..

المسافات

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص202.

[2]المصدر نفسه ، ص210.

بكاء الخطوة الأولى.

و أصوات قديمة

شجر يلتفّ حول الظّل

يوسف الطّالع من بئر الكلام

يحتفي بالشّعر مثلي

و ينام

السّاعات مسافة

و المسافات مساء وخرافه

و العصافير التي تأتي من الشّرق

غناء المتنّبي

يستحضر الشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي"شخصية "يوسف عليه السّلام"الذّي رماه إخوته في الجبّ لإبعاده عن والده، إنّما هو رمز و مقابلة لشخصيّة الشّاعر حامل للواء القلم في زمن المحنة، التّي كثر فيها الكلام و اللّغو لأبواق الشّر، و انتقاد لرموز الظّلام مجلبة للخطر، لذلك وظّف مدلول "البئر"لينطلق في تشفير و ترميز نصّه الشّعري، جاعلا منه منطلق لرفض الواقع المتردّي، فما كان إلاّ من البئر وسيلة و انطلاقة لطلوعه، ليعبّر عن رأيه بكلّ حرّية.

2-8حقـــــــل الدّيـانـات

و تسمّى بالأديان السّماويّة، أو الشّرائع السّماوية، فما هي الأديان التّي وظّفها"عزّ الدّين ميهوبي"كرموز في فراشته البيضاء لتشكّل حقلا دلاليّا؟.

يقول في "قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[1]:

صلّى شيخ القرية بالتّوراة

و أفتى بالإنجيل

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص77.

و أقسم بالقرآن

فكلّ الدّيانات أجمعت، و ذكرت الموت، بدءا بالعهد القديم "اليهوديّة"، مرورا بالعهد الجديد "المسيحيّة"، وصولا للإسلام "القرآن الكريم"، و حضور الصّلاة في جميع الأديان، هل هو توديع لشهيد أو فقيد حرب؟.

بحقول عديدة إذن حلّق الشّاعر في سماء الإبداع الشّعري فنوّع فيها، فارضا بحقل الموت وجوده، بالأسود أحسّ و نقل، بالثّورة الجزائرية بدأ، و بالعشريّة الحمراء و السّوداء أعلن تلوّن الرّبيع العربيّ فوصل، فكانت سيمياء الموت مسطّرة في حقول عدّة: الموت، اللّون، الطّبيعةّ، الشّخصيات، الدّيانات، الحيوان، المدينة، الزّمن ..الخ.

و هل يا ترى انتشار الموت في كلّ مكان، و تحديقه بالشّاعر، الغاء للحياة و قاموسها؟ أو هو اعلان الحياة من خلال الموت؟

3-انسلاخ الموت من الحياة في المجموعة الشّعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود"

كما كان للأسود حصّة، و للتّشاؤم نصيب في ذات "عزّ الدّين ميهوبي"، ظهر و انعكس جليّا على مضمون المجموعة الشّعريّة، ها هو يبيّن أنّ الدّنيا ثنائيات: سواد و بياض، ليثبت أنّ للبياض نصيب حتّى و إن قلّ، فتُطلق فراشته البيضاء عنان الحياة في الوجود في وجه الظّلام، الذّي ساد المجموعة، فإذا كانت الإحداثية الأولى:"السّواد"موجودة و بقوّة في المجموعة، فالإحداثية الثّانية "الحياة"موجودة أيضا، و السّلام سيكون نصيب كلّ من يصبو له ليُستخرج من غياهب و ظلمات السّواد.

انطلقت الحياة في قاموسه، و دستوره الشّعري بعد إعلان لون فراشته، فكانت "فراشة بيضاء" تنادي بالسّلام آملة في وضع أحسن، و بأنّها ستُزهر يوما في حقول، و بساتين الحياة الشّاسعة.

يقول في "قصيدة حديث البحر"[1]:

اللّيل يزول فلا تيأس

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص26.

و الحبّ سيكبر لا تيأس

و الصّبر جميل يا هذا..

و الحلم حقيقتك الأولى ..

و الحظّ حليفك لا تيأس..

أفواه الصّمت تريد البوح

الحياة أعلنت راياتها و أبت إلاّ أن تتسلّح بأسلحة النّفي، لكلّ ما هو مظلم و يجلب السّواد، مؤكّدة على الحبّ الحلقة الهامّة، و على انتهاء زمن؛ لأنّه زمن الشّعر و الكلمة، لتكون الصّيغة الكيميائية للحياة من منظور"عزّ الدّين ميهوبي"[الأمل /الصّبر/ الحبّ/الحلم/الحظّ/ الكلمة].

يقول في " قصيدة حديث البحر"[1]:

لا تقلق

للأرض حديث أجمل من أغنية هذا

العائد من "طروادة"

أو "بيروت"

ثم يواصل حتّى قوله:

ستظلّ تسافر في المطلق

وتعود من الزّمن المغلق

يسافر "عزّ الدّين ميهوبي"في رحلة الحياة عبر المطلق اللامحدود، و يعود من زمن مغلق، ليكون زمنه مفتوحا، والأرض عنده حديث أجمل، فان كانت الأغنية تجلب الفرح، فانّ الأرض تمثّل الحياة بأكملها.

يقول في" قصيدة حديث البحر"[2]:

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص 29.

[2] المصدر نفسه، ص34.

ما أجمل موج البحر

أريد العمر..ما أجمل هذا اللّون القادم من عاصمة

الثّلج

وقد أعطاك الله البحر..

و ألوان الطّيف السّبعة

و الخضراء

فالحياة حلوة ببحرها شامخة، و بياضها كبياض ثلجها و بألوان طيفها السّبعة، لتكون الحياة عبارة عن بياض و زرقة ماء و ألوان سبعة و خضرة.

يقول في" قصيدة حديث الخيمة"[1]:

لا موت يجئ ..

فهذا اليوم تجرّد من رائحة الأموات ..

وعطّر كلّ الرّمل برائحة الفردوس.

و رائحة الفجر.

ينفي"عزّ الدّين ميهوبي"مجئ الموت، ليستحضر غيابه بلباس الحياة، فتكون رائحة الفردوس من يسود المكان .

يقول في"قصيدة حديث النّخلة"[2]:

قبل الولادة كانت تضئ

و بعد الولادة صارت تضئ.

و ترسم خطّا طويلا يضئ

في ليلة خرج البحر يرقص..

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص39.

[2] المصدر نفسه، ص 56.

فقبل و بعد الموعد كان الضوء و النّور لرسم خطّ الحياة، ليخرج فيه البحر أمام عناصر الطّبيعة الأخرى راقصا معلنا الحياة.

يقول في" قصيدة فراشة بيضاء لربيع أسود"[1]:

مرّ العسكر و التّابوت..

و مرّ الموسم ملتحفا جلباب الثّورة..

مرّ العالم منتشيا بالسّاحة و الميدان..

الإنسانيّة مرّت زاهية لكن

ينطلق الشّاعر في وصف كلّ من مرّ من أمامه؛ هذا العسكر، و هذا التّابوت ملتحفين بجلباب الثّورة، فالعسكر و التّابوت رموز للموت، لكن في ذلك حياة خاصّة بعد أن أردف حديثه – ملتحفا بجلباب الثّورة – لتمرّ الإنسانية زاهية بعد شعارات السّلام، المنادية في الشّارع.

يقول في "قصيدة غوايات أريك في رام الله"[2]:

أريك سيرقص في رام الله

و في نابلس و في جنين

فليطلع من دمه السّكين

مدن فلسطين تُعلن الأفراح، و الرّقص في كلّ من رام الله، نابلس، و جنين، لتدوّي الحياة، لكن الرّقص لن يدوم طويلا فأريك سيُخرج سلاحه للقتال، و الدّفاع عن آماله و حقوقه، و ما الدّماء إلاّ رمزا للاستشهاد و الموت.

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص81.

[2] المصدر نفسه ،ص 182.

يقول في" قصيدة غوايات أريك في رام الله"[1]:

العرس اللّيلة يا أحباب ..

فهاتوا الزّيت.

ما أجمل فستان العرس..

أيليق بعاشقة القدس ؟

أنا القدّيسة..

أبدو بالكوفيّة السوداء أميره

أوصيكم بتراب مزروع في دمنا المنفيّ خميره

آيات تحبّ الورد..

فيا الله.

أعمار الورد قصيره

أفراح أُعلنت و أعراس تُقام، فستان العرس حُضّر لعاشقة القدس، ليكون "عزّ الدّين ميهوبي"هو الوجه الذي يرقص، في مقابل ذلك أميرة الكوفيّة السّوداء متأصّلة بورود القدس و بترابها، حتّى و إن كانت الحياة فيها قصيرة.

يقول في" قصيدة غوايات أريك في رام الله"[2]:

بسم الله ولدت ..

و بسم الله سأولد بعد الموت شهيده

فالولادة حياة و بعد الموت ميلاد، قال تعالى:"﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3]

[1] عزّ الدّين ميهوبي: فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص187.

[2] المصدر نفسه ، ص189.

[3] سورة آل عمران،الآية 169.

و بالتّالي: إعلان الحياة بعد الموت من طرف الشّاعر"عزّ الدّين ميهوبي"،صمود و تحدّي للوصول إلى الشّهادة الحقّة.

يقول في"قصيدة مارغريتا2"[1]:

مارغريتا*

ليت لي شمسا فأمنحك الدّفء الذّي يجعل منك

امرأة

تستغني عن رداء الفرو في اللّيالي الباردة

ليت لي قاربا من ياسمين فيرحل بك

نحو بلاد لا يقصدها العشّاق المزيّفون

ليت لي سربا من النّوارس ترقص

على سواحل كوبا فتغمر النّاس السّعادة الأبديّة

ليت لي قلوب العشّاق جميعا..

أضعها على كفّي و أصنع منها قلبا واحدا

و أرميه بين أضلاعك

فتصيرين سنونوة كلّ الفصول

ليت لي حدائق بابل**التّي ذكروها في الأساطير

فأجعل من حبّنا أعجوبة الدّنيا الأخيرة.

ليت لي مفاتيح الفردوس

فأفتح بابا لا ينغلق و نظلّ واقفين

---

[1] عزّ الدّين ميهوبي: فراشة بيضاء لربيع أسود ، ص219.

* امرأة انجليزيّة أخذت على عاتقها التّعريف بالأدب العربي في انجلترا.

**إحدى عجائب الدّنيا السّبع، وهي العجيبة الوحيدة التي يُظن بأنها أسطورة، ويُزعم بأنها بنيت في المدينة القديمة بابل وموقعها الحالي قريب من مدينة الحلة بمدينة بابل العراق.

أنظر إليك و تنظرين إليّ كطفلين من عجينة الجنّة،

ولا ننام..

ينادي "مارغريتا"متمنّيا قوارب بل أشرعة الحياة و السّلام، أرادها أن تحضر في دنياه، فاستعمل خياله الشّعري، محلّقا به من حدائق بابل لعجينة الجنّة، صانعا لنفسه قوارب من ياسمين لقلوب العشّاق، هي صورة أفردها الشّاعر لحياة أرادها و يريدها أن تتحقّق.

يقول في" قصيدة بونياتو2"[1]:

تسألني زوجتي كل صباح

بم تشعر في بونياتو*؟

أقول لها لا تسأل الإنسان عن الفرح.

و تسألني عند المساء.

كيف تركت بونياتو؟

فأقول لها ألا تقرأ عيناك في عينيّ

قصائد الفرح الكوبيّ الدائم.

عاش كاسترو**

و المجد لكوبا

فتقبّلني و تقول لي

ليتنا نقضي العمر في بونياتو..

اخترق "عزّ الدّين ميهوبي"سؤالات الصّباحات، و المساءات بالفرح، لبداية فجر جديد بقصائد الحياة لكوبا من شعارات ترفع "عاش كاسترو" و "المجد لكوبا"، هي الحياة و الفرح يعلنان ميلادا

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص224.

* مدينة من مدن كوبا ،تابعة لمحافظة سانتياغو كوبا، بها السّجن الوطني المسمّى باسم المدينة"سجن بونياتو".

** فيدال كاسترو زعيم و رئيس كوبا الأسبق ، ضد الرأسمالية و أمريكا .

جديدا لعهد آت دون ألم، فقط الأمل و الفرح هما العنوان ، فكان "كاسترو"رمزا للحياة بكلّ معانيها، و كان فيها "عزّ الدّين ميهوبي"ناشرا لجزء منها، باعثا بها للآخر.

يقول في"قصيدة امرأة الشّعر"[1]:

"أنا الطّفل

بالشّمس

أهديت قلبي الأمان

و حين اكتشفت الطّريق إلى الحلم

غنّيت مثل العصافير

أزهر في راحتيّ الزّمان

و نامت على شفتيّ الفراشات

براءة و عفويّة تنطق، لتُثبت وجودها أمام توهّج، و نور الشّمس ليُهدي الحياة، حلمه غناء كالعصافير و إزهار في حدود الزّمان، لتنطلق الفراشات في حياة حَلُم بها فأينعت، و أثمرت عبر تخطّيها لخارطة طريق وسمت بالمستحيل، فكان وجودها في الميدان محقّقا وفعّالا.

هو إذن: حلم براءة بحرّية تخترق حدود الزّمان و المكان، ليرسم لنفسه معالم فراشة الوئام المدنيّ المتأمّلة لا المستحيلة.

[1] عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، ص215.

الخاتمة

بعد رحلة المدّ و الجزر لتلاقح القراءة مع الإبداع عبر مجموعة حلقات "فراشة بيضاء لربيع أسود" يبرز الإنتاج الإبداعيّ متجاوزا لكلّ مألوف، ليؤسّس لمختلف، عبر التّحليق في سماء السّيمياء للكشف عن الرّؤيا الإبداعيّة، و تفكيك شفراته الشّعريّة، فكانت النّتائج كالآتي:

1- عنوان المجموعة الشّعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود"يطرح حيرة تؤرّق القارئ ابتداء بصفحة الغلاف التّي تتألّق وتتآلف مع باقي العتبات النّصيّة بما يشكّل اتّحادا لا نظير له.

2- الغلاف عبارة عن إغراء مباشر للمتلقّي من أجل اقتناء الإبداع الشّعري، ليكون توأمه الرّوحي في ذلك اللّون بكلّ دلالاته، موحيا برموزه، باعثا بهما إلى أنحاء و أرجاء مملكة المتن الشّعري.

3- احتلّ اللّون منزلة كبيرة في المجموعة الشّعرية"فراشة بيضاء لربيع أسود" لـ"عزّ الدّين ميهوبي"فانعكس على غلافه، ليتلاقح مع لغة الشّعر من خلال التّواصل الفنّي و الجمالي بين الصّورة المنتقاة، التّي أفرزتها آهاته على صفحة الغلاف لولوج أغوار عناوين قصائد المجموعة، من خلال الاستعانة بالعنوان الرّئيس للعمل الشّعري ممثّلا في "فراشة بيضاء لربيع أسود"، و من ثمّ اطلاق عنان التّواصل العتباتي- العنوان، الغلاف، اللّون-الذّي يعمل على رواجه نقديّا و انتاجيّا.، فكانت مغازلة اللّون للشّعر لإنتاج سمة الموت متكشّفة عبر تفكيك شفراتها و رموزها سيميائيّا، فكانت السّيمياء جسرا و حقلا نقديّا، من خلالها أُرسي المعنى العام، و فُهمت دلالات الموت.

4- الموت قضيّة أرّقت الصّغير و الكبير، الشّيخ و الكهل، الجميع دون استثناء، ولأهميتها طرحتها و ناقشتها الدّيانات السّماويّة، بدءا بالعهد القديم، وصولا للإسلام، مرورا بالعهد الجديد، لتجد ضالتها في كتابات و دراسات النّقاد و الباحثين العرب و الغرب على حدّ سواء.

5- الحياة بالنّسبة لشاعرنا يتقاسمها لونان: إمّا أبيض وإمّا أسود، وحتّى لا تحسب نظرته على هذا أو ذاك، إتّخذ لنفسه لونا وسطا وهو الرّمادي نجده حاضرا في كثير من قصائده.

6 - أكثر الشّاعر توظيف الرّموز المستقاة من معجم "الموت" مستعملا لغة تشاؤمية ثائرة ناقمة، استلهم معانيها من لغة الرّصاص، و النّار و السّواد، ترجمة لما مرّت به الجزائر أيّام الأزمة، و قبلها الثّورة التّحريرية الكبرى التي مسّت البلاد و العباد، وحاليا ثورات الرّبيع العربي وما رافقها من موت ودمار وخراب، بما عكس عبثية الحياة بالنّسبة لـ"عز الدين ميهوبي"، فجاء خطابه موزّعا ضمن ثنائيّات ضدّية هي محور العمليّة الشّعرية؛ السّواد و البياض ،الموت و الحياة،.. .

7- جاءت لغة النّص الشّعري "فراشة بيضاء لربيع أسود"معبّرة عن حزن و ألم عميقين دفينين بقلب الشّاعر، وللإنفلات منهما وظّف عناصر الطّبيعة و مفرداتها لإضفاء شعريّة متميّزة، فكانت الفراشات و الشّمس و المدن أنيسه في رحلته بما جعل حقل الطّبيعة معادلا موضوعيّا لمكنونات الشّاعر وأحاسيسه.

8- الملاحظ على الحقول الدّلالية انتشار معجم الموت في النّص الشّعري، برع "عزّ الدّين ميهوبي" في رسمه بريشة شاعر فنّان، محلّقا في عوالم الخيال و الحلم، باحثا عن سرّه في متاهات الوجود وسراديب التّاريخ، متّبعا بوصلة الإلهام التّي قادته لبرمودا الشّعر.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصـــادر و المراجـــع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أوّلا:المصادر و المراجع

1-بسّام قطّوس :سيمياء العنوان ، وزارة الثّقافة، عمّان ،الأردن،ط1، 2011م.

2-بشرى البستاني:قراءات في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب العربيّ، بيروت لبنان، ط 1، 2002م.

3-جاك شورون: الموت في الفكر الغربيّ، تر كامل يوسف حسين، مرا إمام عبد الفتّاح إمام، عالم المعرفة ،الكويت، 1984م.

4-حسن مُحَمَّد حماد :تداخل النّصوص في الرّواية العربيّة ،دراسات عربيّة، مطابع الهيئة العامة للكتاب،القاهرة،د.ط،د.ت.

5-عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي،عوّاد علي:معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة،المركز الثّقافيّ العربيّ ، ط2،1996م،

6-عبد الحق بلعابد :عتبات ،جيرار جينيت من النّص إلى المناص، تقد:سعيد يقطين،منشورات الاختلاف ،ط1، 2008م.

7-عبد الحق بلعابد:عتبات،جيرار جينيت من النّص إلى المناص ،تقديم سعيد يقطين ، الدّار العربيّة للعلوم ، ناشرون، ط1، 2008م.

8-عبد الرّحمن الزّيني: حقيقة الموت بين الفلسفة و الدّين، دار اليقين للنّشر و التّوزيع ،ط1 2011م.

9-عزّ الدّين ميهوبي :فراشة بيضاء لربيع أسود، مختارات شعرية ، دار المعرفة ، 2014م.

10-فاتن عبد الجبار جواد : اللون لعبة سيميائية ،بحث اجرائي في تشكيل المعنى الشّعري ،دار مجدلاوي للنّشر و التّوزيع ،عمّان ،الأردن،ط1، 2009م.

11-فرديناد دي سوسور : علم اللغة العام ،تر يوئيل يوسف عزيز ،مرا مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربيّة ،بغداد،1985م

12-أبي الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري:لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1،1997 م،ج4.

13- كلود عبيد:الألوان ،دورها ،تصنيفها مصادرها رمزيتها دلالتها، مرا مُحَمَّد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات،ط1،2013م.

14-مُحَمَّد السّرغيني: محاضرات في السّيميولوجيا، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط1، الدّار البيضاء 1987م.

15-مُحَمَّد فكري الجزّار: العنوان و سيميوطيقا الاتّصال الأدبيّ، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ،1998م.

16-ميشال أريفيه وآخرون:السّيميائية أصولها وقواعدها ، تر رشيد بن مالك، تح عزّ الدّين المناصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002م .

ثانيا: المجلاّت و الدّوريات و الملتقيات

1- أمسية الشّعر الثاّلثة:الشّارقة، الامارات، 24يناير2013.

2-جريدة الحياة :2008/9/9م، ع 16594.

3 -مجلّة عالم الكتب: دار ثقيف للنشر و التّوزيع ،كليّة اللّغة العربيّة ،جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلاميّة، الرّياض،ج 29، 2008م، ع6/5.

4-مجلّة الواحات للبحوث و الدّراسات ،جامعة ميلة،ج7 ،2014م، ع2.

5-محاضرات الملتقى الوطني الثّالث السّيمياء والنّص الأدبيّ:منشورات جامعة بسكرة ،الجزائر، 2006.

6- ملتقى الدّولي التّاسع للرّواية عبد الحميد بن هدوقة: دراسات وإبداعات الملتقى الدّولي الثّامن وزارة الثّقافة، مديرية الثّقافة، ولاية برج بوعريريج، الجزائر،2006 م.

ثالثا: الرّسائل الجامعيّة

1-أحمد عبد الله محمّد عبدان: دلالات الألوان في شعر نزار قبّاني، اشراف يحي جبر، خليل عودة،(مذكّرة ماجيستير)، قسم اللّغة العربيّة و آدابها، كليّة الدّراسات العليا،جامعة النّجاح الوطنيّة ،نابلس، فلسطين،2008، ص187.

2-حنان أحمد خليل الجمل: الموت في الشّعر العبّاسيّ332هـ/450هـ ،إشراف ابراهيم الخواجا (مذكّرة ماجيستير)،قسم اللّغة العربيّة، كليّة الدّراسات العليا،جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين،2003م.

3-ابن حُويلي الأخضر ميدني: الفيض الفنّي في سيميائية الألوان عند نزار قبّاني دراسة سيميائية لغوية في قصائد من الأعمال الشّعرية الكاملة، مجلّة جامعة دمشق، ج 21، ع4/3.

4-حياة هروال: دلائليّة الموت في الخطاب الشّعري الجزائريّ المعاصر فترة التّحوّلات 2000/1988، إشراف جميلة قيسمون،(مذكّرة ماجيستير)،قسم اللّغة العربية و آدابها، كليّة الآداب و اللّغات، جامعة منتوري، قسنطينة،2008م

ملحق

عزّ الدّين ميهوبي"[1]من مواليد 1959 بعين الخضراء ولاية المسيلة، درس في الكتّاب بمسقط رأسه و التحق بالمدرسة 1967، متحصّل على شهادة بكالويا شعبة آداب، التحق بمعهد اللّغة و الأدب العربيّ بجامعة باتنة عام1980، و في عام 1984التحق بالمدرسة الوطنيّة للإدارة– الجزائر–في عام 2007 تحصّل على ديبلوم في الدّراسات العليا المتخصّصة فرع الاستراتيجيا.

تقلّد مناصب عدّة منها: وزير الإعلام، مدير الإذاعة الجزائريّة، رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة و حاليا وزير الثّقافة.

في رصيده اثنان و أربعون كتابا منها: السّياسي و الأدبي و المسرحي، و كتب ما يزيد عن عشرين أوبيرات و مسرحية و له سيناريو فيلم بعنوان "زبانة"، ترجمت قصائده إلى العديد من اللّغات العالمية، و لحنت مقاطع من شعره " على خط غرينتش في لندن".

تناول عدد من الأطروحات و الرّسائل الجامعية أعماله الأدبية بمختلف الجامعات الجزائرية "تجاوزت الخمسين رسالة بين مذكّرة تخرج و ماجيستير و دكتوراه".

قال فيه الآخرون عن تجربته الشّعرية[2]:

"ابراهيم صدّيقي":"رجل متسامح، كبير القلب، سريع نسيان الأحلام و الأحزان، إرادة قويّة، الباحث كثير الكتابة و متنوّع فيها، هو رسّام أيضا".

[1] ينظر: www. Azzedinemihoubi ›intro

[2] ينظر: عزّ الدّين ميهوبي، بيت القصيد، الميادين، بيروت،لبنان،2014/2/18.

"زاهي وهبي" :"مثقّف متعدّد، لم تصرفه المناصب الوزاريّة و الاداريّة عن حرفة الكتابة، فظلّ أمينا لقلمه الغزير المتنقّل بين القصيدة، و الرّواية و المسرحية والمقالة، حتّى يمكننا القول أنّ له في كلّ عرس قرصا، لكن ومع تعدّد أشكال التّعبير الأدبي و الفنّي لديه، يظلّ الشّعر خيمته الأولى و الأخيرة بها يستظلّ منها، و يُطلّ على عالم الابداع الرّحب الفسيح"

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويـــــــات

مقدمة..... أ – ج

مدخل : السّيمياء بين الغرب و العرب..... 5-10

1. ماهية السّيمياء 5

1-1 السّيمياء عند الغرب.....5-7

1-2 السيمياء عند العرب.....7-10

2-1 السّيمياء لغة.....8

2-2 السيّمياء اصطلاحا.....9-10

الفصل الأول:

عتبة الموت في المجموعة الشّعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود" لـ "عزّ الدّين ميهوبي" .13-59

1. سيمياء العنوان.....13-46

1-1 تعريف العنوان.....13-15

1-1-1 العنوان لغة.....12

1-1-2 العنوان اصطلاحا.....12-13

1-2 دلائليّة العنوان الرّئيس.....14-15

1-3 دلائليّة العناوين الفرعيّة.....16-46

2. سيمياء الغلاف.....43-44

2-1 الغلاف لغة.....44

2-2 الغلاف اصطلاحا.....45

3. سيمياء اللّون..... 46

3-1 الخطاب الغلافي الأمامي.....46-54

3-1-1 اللّون الأسود..... 47-48

3-1-2 اللّون الأبيض..... 48-49

3-1-3 اللّون الرّمادي.....49

3-1-4 اللون الأخضر.....49-50

3-2 الخطاب الغلافي الخلفي..... 55-58

الفصل الثّاني:

تمظهرات الموت في النّص الشّعري و انزياحاته لدى "عزّ الدّين ميهوبي" في "قرائة بيضاء لربيع أسود" 60-105

1.تيمة الموت بين الدّين و الفكر.....60-63

1-1 الموت في الدّيانات السّماويّة.....60-62

1-2 الموت في المعاجم اللّغوية.....63

2. الحقول الدّلاليّة.....63-64

2-1 حقل الموت.....64-76

2-2 حقل الحيوان.....76-81

2-3 حقل الطّبيعة.....81-85

2-4 حقل الزّمن 85-89

2-5 حقل اللّون 89-91

2-6 حقل المدينة.....92-95

2- 7حقل الشّخصيّات 95-97

2-8 حقل الدّيانات 97-98

3. انسلاخ الحياة من الموت.....98-105

الخاتمة.....107-108

قائمة المصادر و المراجع.....110-112

ملحق.....114-115

فهرس المحتويات.....117-120

الملخّص

يسعى البحث إلى مناقشة سيمياء الموت في المجموعة الشّعريّة "فراشة بيضاء لربيع أسود"لـ"عزّ الدّين ميهوبي"، هادفا إلى معرفة إشكاليات الموت و دوافعه لدى الشّاعر، و قد اعتمدت الدّراسة في تناول النماذج الشّعريّة على تحديد القضايا التّي تحدّث عنها "عزّالدّين ميهوبي"في موضوع الموت، و عرض كلّ حقل من حقولها على حدى، حيث تكوّنت الدّراسة من مدخل و فصلين، بيّن المدخل السّيمياء بين الغرب و العرب، أمّا الفصل الأوّل فخصّص للحديث عن عتبة الموت في المجموعة الشّعرية "فراشة بيضاء لربيع أسود"لـ"عزّ الدّين ميهوبي"، في حين تضمّن الفصل الثّاني: تمظهرات الموت في النّص الشّعري"فراشة بيضاء لربيع أسود و انزياحاته عند "عزّ الدّين ميهوبي"، و انتهى البحث بخاتمة حملت مجمل النّتائج المتوصّل إليها.

Abstract

This dissertation deals with the semiotics of death in the poetry of 'Azzedine Mihoubi', entitled '*White Butterfly for Black Spring*'. It aims at investigating the problematic of death and its motives from the poet's perspective. Therefore, to examine a sample of poems in this collection, this study relies on identifying the nature of the different issues Mihoubi has tackled within the subject of death, and presenting each of its semantic fields thoroughly and separately. The study is composed of an introduction, preamble and two chapters. The preface elucidates the nature of semiotics and its origins, between the west and the Arabs; while the first chapter was devoted to discuss the para-context of death in this poetry. Yet, the second chapter demonstrates not only the immediate denotations of death, its language of indications and reference, but also it sets forth the connotative power of this concept, which may or may not be expressed in this poetry. The dissertation ends up with a conclusion that states the overall findings we have reached.